عبد العزيز بن راشد النجدي

الطواغيت المقنعة

في الإسلام

دار الوعي العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الجن والانس ليعبدوه ، مخلصين له الدين ، ورزقهم ليستعينوا بذلك عليها ، وأرسل الرسلَ إليهم ليبينوا لهم أنواع العبادة ، كما ينهونهم عن الشرك والعصيان والبغي والبهتان ، صلى الله عليهم وعلى كل متبع لهم إلى يوم الدين وسلم وبعد ،

فقد جمعت فكري واستعملت عقلي فيما أوصى الله به من تدبر القرآن، واستعنت على فهمه بسنن الله في خلقه ، وما فطرهم عليه من حاجة إليه ، ليكشف عنهم الشدائد والمصائب بعد حلولها عليهم ، وقبل نزولها إليهم، فمنهم من يفزع إليه في جميع الأيام ليدفعها عنه كما يطلب نعمائه مثل الرسل وأتباعهم ، ومنهم من يخلص له التوجه عند احتكامها ، وإليه وغيره أيام الأمن كما عليه جاهلية الأوثان .

وقد تصورت ماحل بالمسلمين من الذلة والضعف ، وما دل عليه كتابهم من العزة والقوة والكرامة ، وما وعدهم به من الظفر والنصرة إن نصروه إلى يوم القيامة ، فعلمت أن البلاء والصغار الذي يعانيه المسلمون أينما وجدوا ، وما بينهم من حرب وتلاعن وتطاحن وقتال ، وتناضل بين الأخوة والأسرة وهم أمة يجمعها القرآن ، عددها وفير ، وتاريخها كبير ، كما شهد لأولهم بالقوة والعزة العدو والصديق ، ولكتابهم عقلاء الأمم ، وأنه لم ينزل كتاب إلى الأرض أعظم منه ، لما تضمنه للعاملين به وما انطوى

عليه من الدلائل الدالة على الله وصدق أنبيائه فألقيت على معتقداتهم نظرة فاحصة ، فوجدت جمهورهم قد رجعوا إلى دين آبائهم من مئات السنين، فوازنت بين جاهلية الاسلام وباسبقها من جاهلية الأوثان التي هم اليوم يمثلونها بأعمالهم ، واعتقاداتهم ، وأخلاقهم ، وعباداتهم ، إذ ألفيت أكثر أهل القبلة يتعلقون على الطواغيت ، ويتمسحون بالأولياء والمشايخ والأوهام ، وهم يحسبون أن القرآن يقرهم على ذلك ، فقلبت النظر في جماعاتهم فاذا أكابرهم قد فتنوا بالطاعة من عامتهم لعبدون ، وعلماؤهم عن الباطل ساكتون ، وأغنياؤهم للهو والدرهم جامعون ، وفقراؤهم لطلب القوت والعيش لاهون ، كما هم جاهلون ، والجميع على عكس ما وصف الله به المؤمنين في أول سورة المؤمنون .

وقد نتج عن هذا لعموم العرب بل والمسلمين فضيحة لم يسبق لها مثيل على أسلافهم ، ألا وهي كارثة اليهود تكفيهم عدة إن تبصروا بها اليوم ، كما أخشى أن يعقبها عليهم أكبر منها ماداموا على الحال التي وصفت منهم .

فالنجاء ياقوم النجاء فليس بعد الانذار اعتذار ولا بعد الدنيا إلا الجنة أو النار .

عبدالعزيز بن راشد النجدي

بسم الله الرحمن الرحيم

أول وعي الانسان مبادىء العلوم غير المكتسبة بالفطرة

إن الله أخرج الانسان إلى الدنيا لا يعلم شيئاً ، وأوجد فيه أعضاء مختلفة الاحساس بالعلوم الواردة عليها فطريا ، كما ألهم أصل الخير والشر متى بلغ سن التمييز سليمها كما قال تعالى : « ونفس وما سواهـا فألهمها فجورها وتقواها » يعنى أنها فرقت بين الأمرين بفطرتها ، فمنها :

١ ـ حاسة الذوق : يفرق بهـا بين الحلو والمر ، والعـذب والمالـح والمختلفات في مذاقه .

٢ ـ ومنها حاسة الشم : يميـز بهـا بين المشمومات الطيبة والخبيثـة وما يختلف لديه في شمه من الروائح .

٣ ـ ومنها حاسة اللمس : يعرف بها اللين من اليابس ، والحار من البارد ، والخشن من الناعم .

٤ ـ ومنها حاسة البصر : يميز بها بين المرئيات له ، كالأبيض والأسود والألوان المختلفة ، والطويل والقصير ، والصغير والكبير ، وما يختلف في نظره أمامه ظاهراً .

٥ ـ ومنها حاسة السمع : يميز بها بين الأصوات الحادة والخفيفة ، والعالية والخافة .

وقد خلق الله هذه الحواس ليتلقى بها الانسان أوائل العلوم وإيصالها

إلى قلبه ، كما جعل السمع والبصر رائدين للقلب ما أحسا بـه خارجـاً ، وسخر اللسان طوع إرادته لابراز ما فيه ، فاذا تصور ما فهم القلب وما يدخله البصر عليه وما يأمر اللسان به لابرازه استيقن أن هذه الحواس خدم للقلب ، وأنه بمثابة الملك المطاع ، وأنها من أكبر النعم على الانسان، وحجة الله على المكلفين بلا خلاف بينهم ، كما أنها طريق العلم المدرك أولاً بالفطرة ، كما خلقها مستعدة لجلب الخير والشـر إلى القلب ، فاذا فقد فلا تكليف عليه ، ولهذا أكثر الله من ذكر حاستي السمع والبصر ، كما سماه تارة بالقلب ، وأخرى بالفؤاد ، ومرة بالعقل وثانية بالنهية لمـا يتعقله ، وينهي عنـه من الضار ، وقال النبي ﷺ : « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لهـا سائر الجسد ألا وهي القلب » رواه البخاري مسلم ، وما بعد هذا يشرحه ويبين مـا لحق المهملين لعقولهم وحواسهم التي خاطبهم الله لأجل عبادته بها وطلب منهم شكره عليها وعلى ما منحهم من نعمه التي لاتحصى عدا بتوحيده .

باب
جزاء من أهمل مواهبه المميزة له عن البهائم

إليك جملة تنبـــه العاقل على فضل التفكير بالعقل ، واستخـدام الحواس فيما خلقت له ، والجزاء على إهمالهـا ، لعلك تحذر من ذلك ، كما تعود عقلك وتفكيرك فهم مايمر بك من عظات الله الكونيـة ، وآياتـه القرآنية والدينية ، قبـل تفارط العمر والنـدم . قال الله تعالى ناعيـاً على الجن والانس إفسادهم عقولهم ، ومنبهاً لهم على ماتنتج لهم باهمالهم لها:

« ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام ، بل هم أضل أولئك هم الغافلون » . وهذا لأن الله خلقهم لعبادته ، وإخلاصها له دون من سواه ، كما ميزهم بتلك الحواس عن البهائم ليهتدوا بها إلى ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم في دنياهم وأخراهم ويرفعهم بها عن مشابهة ما لا يعقل ، قال الله تعالى عن عاد وثمود ومن ضاهاهم إلى يوم القيامة من هذه الأمة وقبلها : « ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وضاق بهم ما كانوا به يستهزئون» وحكى عنهم وعن غيرهم أنهم كانوا على بصيرة بالدنيا ومعاشهم فيها، كما استعملوا عقولهم لها معرضين عما سواها من الآخرة ، وما لربهم عليهم وهم يعرفون ربهم وما أوجب عليهم من عبادته ، غير أنهم ظنوا ألا ينالوا مالديه إلا بتوسيط ماجعلوهم له أنداداً في عبادته ، كما أيقنوا أن ربهم وخالقهم ورازقهم دون الآلهة التي أشركوها معه في صفته ، وأنه أقوى منهم،قال الله تعالى عنهم : « فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة » وقال تعالى : « وعاد وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين » وقال تعالى : « وللذين كفروا

بربهم عذاب جهنم وبئس المصير» ..إلى..«كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء وإن أنتم إلا في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم» . فأنت تراهم كذبوا الرسل والنذر باجتهادهم ، وهذا فعل جميع الكافرين بالله وآياته ورسله ، منعهم اجتهادهم من اتباع الحق ، فأهملوا مواهبهم العقلية والبصرية والسمعية ، كما أقروا لربهم إذ سألهم خزنة جهنم ، وقد كانوا ماهرين في دنياهم ، بصراء بما يفعلون فيها ولها،وما يمهر فيهاويعرفها،إلا من استعمل عقله وتفكيره لها،ككفار هذه الأمة ، لا كالذين هجروا القرآن والحق منا وأهملوا عقولهم ومواهبهم من قومنا أهل القبلة إذ اتبعوا أقواماً شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ، كما اتبعوا أقواماً ساروا على أهوائهم فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل بتقليدهم ، فلا فازوا في دنياهم وتمتعوا بخيراتها ، ولا أدركوا ثواب ربهم في الآخرة ، وقالوا لمن دعاهم إلى سلامتهم وغايتهم ، كما قالت عاد لنبيهم : «سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين إن هذا إلا خلق الأولين وما نحن بمعذبين» لأنا نقول «لا إله إلا الله محمد رسول الله» بينما هم يتعلقون على الأوهام من احراز ، وتمائم ، وأشجار ، وأحجار ، وملوك وحكام متحركين ، وعلماء استعبدوهم ، وجن ،وأحياء وأموات يؤملون فيهم البركات والنفحات والفيوضات التي تبرئهم من أمراضهم وفقرهم،وتنصرهم على عدوهم وتحفظهم من شر الدنيا ، كما تجلب لهم رضوان الله على أيديهم ، والجنات في الآخرة بشفاعاتهم وجاههم لهم

عند الله ، ولهذا يجودون بأنواع العبادات لهم ، من دعاءواستغاثةوتمسكن وابتهال عند قبورهم ، ونذور وقرابين من الذبائح ، وأموال يقفونها عليهم وغيرها ، ولا يعدون ذلك عبادة لهم لجهلهم بمعناها ، فاذا عملوا مثل ذلك لله عدوه عبادة له ، وظنوا أنها لاتكون عبادة منهم لأوهامهم مالم ينووا ، ويقصدوا أن يعبدوهم بها ، وقد امتلأت قلوبهم بالأمل في أوليائهم ومشائخهم ، كما أشركوا مع الله وأملوا فيهم أكثر من رجائهم في ربهم ، وهذا عين إشراكهم لهم معه في الربوبية ، إذ يبتغون منهم ما لا يملكه إلا الله ، كما دخل قلوبهم الذعر منهم والخوف ، وبالأخص متى قصروا فيما تعودوا أن يعملوه لهم من دعاء وزيارة وغيرها ، فاذا أصيب أحدهم بمرض في نفسه أو أهله أو مصيبة في ماله من الله امتحاناً ، ظنها من ذلك الولي .

والجاهلية الأولى إنما أرادت من أوليائها وأوثانها مثل الذي اراده قومنا ، الذين يزعمون انهم ما أشركوا حيث أنهم يقولون لا إله إلا الله ، وقد هدموها بما قدموا لمعبوداتهم مع الله . قال الله تعالى في خبرائهم في الدنيا : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون» وقال تعالى: «وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون » . وقال تعالى : «ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا » . فاذا بين الله لقوم طريق الهدى فتعاموا عنه واعرضوا عاقبهم الله بالاضلال مكافأة لهم على إعراضهم .

باب

ماعناه الله بشفاء القرآن،هاك الدواء إن أردت الشفاء لتعالج أمراضك به

قال الله تعالى : « يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين » . وقال تعالى : « قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمي أولئك ينادون من مكان بعيد » . وقال تعالى : « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم » . وقال تعالى : « وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لاريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير » وقال تعالى : « إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » . وقال تعالى : « لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون » إلى غيرها فأنت تراه يخاطب الناس ، وأنت أحدهم ، كما يقول لهم : جاءتكم موعظة من ربكم المالك لكم، والمنعم عليكم بتربيته لكم ، وخلقه وإعطائكم ما تحتاجون إليه ، كما لا ينكر أحد منكم هذا ، وجاءكم أيضاً شفاء لأمراضكم القلبية وأرواحكم النفسية التي لا يعرف أمراضها سواه ، ولا يقدر على علاجها غيره ، ولا يوجد دواؤها إلا لديه ؛ وفي كتابه الذي أنزله إليكم ، فعليكم قبول ما أرسله إليكم لتصحوا من أسقام الصدور ، وأمراض القلوب الروحية ، فانها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ،

وضمن هذه الموعظة والشفاء هدي ونور يهتدي به من سار عليه إلى الغاية المطلوبة في دنياه وأخراه لاصلاح الحياة الدنيا والحياة التي بعدها ، إذ لاينال هذا إلا المؤمنون كما يحرمه من كان اعمى عن فهمه والعمل به كما قال تعالى : « ومن كان في هذه أعمى » يعنى في دنياه عن دينه للعهد في الآخرة أعمى وأضل سبيلا وقال تعالى : « أفمن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب » هذا في الأول والتي تليها فيها مثلها ، وزيادة للذين لا يؤمنون وهو الوقر والصمم في آذانهم والسد على قلوبهم ، فلا يدخلها الهدى ولا يفيدها الشفاء ، وفي التي يفدها أنزل وحيه عربيا ليفهم العرب بلسانهم ولغتهم المنزل بها حتى لا يكون لهم عذر ، وليتمكنوا من تعقله والعلم بما فيه لينذروا ، من يستطيعون إنذاره ، كما قال تعالى : « وأوحي إلي هذا القرآن لأ نذركم به ومن بلغ » « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » وفيها تكليفه وأمته بانذار أهل مكة وكل من يليها إلى نهاية المعمور من الأرض ، وفي الأخيرة التنويه بشرف القرآن ومن يعمل به ، وتوبيخ من أعرض عنه ولم يستعمل مواهبه ليعقل الحق ويجتنب الباطل .

هذا ما نتلمسه من آي القرآن من النور والشفاء والهدى . ومن الغريب أن يقدم المسلمون على هذا الكتاب كتباً اتفقوا على أنها لا تساوي القرآن في هدايتها وما اشتمل عليه من الشفاء والرحمة باتفاقهم ، كالكتب التي تنسب الى النبي ﷺ مع أن فيها خيراً وفيها الغث والسمين والضعيف والباطل باقرار العلماء ، فكيف وهم يقدمون على القرآن ماهو أقل منها هداية ومملوء من الكذب والباطل ولن يجد المسلمون

الهداية وهم يطلبونها إلا في كتاب الله الذي هدى الله بـه سلفهم ودعاهم إلى فهمه والاقتداء بهم .

باب
الحكم على من لم يعمل بالقرآن لانجاة لأحد من الضلال مالم يتدبر القرآن بعد بلوغه إليه متبعا له مالم يكن له عذر عند الله

إذا أدرك الانسان تفتحت قواه وأقبل على مالا يلائم شهواته وخرج عن الحق مالم يقلد على الاسلام الصحيح الفطري ، لأن الله فطر النـاس على الجهل والظلم متى أدركوا كما علم أن عقولهم وحيلهم وقواهم كلهـا لاتكفيهم لهدايتهم إلى إصلاح أمورهم وإبعاد الفسـاد عنهم ، مالم يتبعوا قائداً معصوماً من قبل خالقهم ، لأنه تعالى كونهم على طبيعـة الضعف الذاتي والنقص البشري ، وألهمهم العلم بما ركبوا عليه من ذلك ليعودوا إليه متى أحسوا بعجزهم ، وغلبتهم الحاجة الفطرية التي جبلوا عليهـا ، وقد قيل : (من عرف نفسه عرف ربه) قال تعالى : « وكان الانسـان ظلوماً جهولاً » « وخلق الانسان ضعيفاً » سواء بدنه وعقله وتفكيره ، ولهذا أمره باتباع المنزل عليه من ربه كما قال تعالى : « اتبعـوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تتذكرون » فقد نهى عن اتباع جميع الأولياء مالم يكن معهم المنزل من ربهم ما عدا الرسول، وقال تعالى : « فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فـلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا » وقال تعـالى : أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل

على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تـذكرون » وقال تعـالى : « فان لم يستجيبوا لك فاعـلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبـع هواه بغير هدى من الله » وقال تعالى : « وهذا كتاب أنزلنـــاه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلـكم ترحمون » وقال تعالى : « كتاب أنزل إليك مبـارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب » وقال تعالى :« أفلم يـدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين » وقال تعالى : « أفلايتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » وقال تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافـاً كثيراً » وقال تعـالى : « يابني آدم إما يأتيكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلـح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنهـا أولئك أصحـاب النار هم فيها خالدون » . هذه جمل تدل على إصلاح العقول ؛ وتنجي مما ذكر قبلها من العـــذاب للمعرضين عن القرآن ، كما توقظ المكلف من غفلته وتردعه عن اتباع هواه ، وتحمل على تدبر القرآن والبحث عمـا اشتمل عليه من الهداية والرحمة التي من أصابها سلم من الشقاء والضلال، ومن عدل عنه هلك ولو ظن أنه سعيد ، إذ شهـادة الله أكبر شهـادة ، ولهذا قال تعالى : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون » . وهذا أكبر المصائب التي تحول بين الناس وهداية القرآن ، فعليك باتهـام عقلك وما عداه من الكتب التي صرفت الناس عنـــه ، كما تحمل نفسك على تدبر القرآن والتماس النور منه ، حتى تستضيء في حيـــاتك ، وتعلم جهلك ، وأنك في ظلم مالم يجعل الله لك بصيرة بكتابه .

تصور شخصاً جاءه خطـاب من صديق ، وفي كتابتـه غموض هل يتركه بلا عناية ! كلا بل يحرص على فهمه حتى يعلم مافيه ، فان عجز عن قراءته بنفسه عرضه على من هو أقوى منه في قراءة أمثاله ، ولو صرف على ذلك مبلغاً من المال والوقت ، ومثله مايرجو الطالب للعلم أن ينجح فيه آخر الدراسة لينال وظيفة يعيش من راتبها ، أو يكون له مركز أدبي بين أقرانه ، أفلا يعتبر العـاقل كتاب ربه مثل كتـاب صديقه ، أو علوم المدرسة التي يجتهد سنين طويلة لفهمها حتى ينال ما يؤمله بعـــد ، وهو يعتقد أن القرآن أعظم كتاب وأوضح كتاب عنـد أهل القرآن ولا يكلف عناء في تدبره لوضوحه باللسان العربي .

وقد ضرب الله المثل لمن يدعى أنه يؤمن بكتاب ربه ، وهو معرض عن فهمه والعمل به أو عن العمل به ، فحسب بالحمـار البليد الذي حمل الأثقال من الكتب أو غيرها ، ولم ينتفع بهـا ، بل ناله من حملهـا التعب والأذى ، كما قال تعالى : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوهـا كمثل الحمار يحمل أسفـــاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله » . وقال فيمن لم يعمل بها من كل أمة ومنها قومنا : « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بهـا ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثـله كمثل الكلب إن تحمل عليـه يلهث أو تتركـه يلهث كذلك مثل القوم الذين كـــذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » . فهذا مثل من علم الحق ولم يعمل به ، وكلاهما يصدق على من تخلق من أمتنا بذلك . فالحذر أيها النـاس أن تطلبوا العلم بكتاب الله للدنيا ، معرضين عن طلبه للأخرة فان من طلب الدنيـا بعمل

الأخرة فقد شقي في الدنيا والأخرة ، كما قال الله عز وجل : « من كان يريد حرث الأخرة نزد له في حرثه ومن يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب » . نسأل الله أن يوجه قادتنا وسادتنا من العلماء وطلاب العلم إلى أن يخلصوا بطلبهم القرآن والدين لله ، قبل أن يطلبوه للدنيا والله المستعان لنا ولهم .

باب

تحذير العامة من تحريف الاكابر ، اليك ما يخشى عليك منه ما لم يعتصم بالحق مشاركاً في فهمه كما وقع فيه من قبلك بشهادة الله

أسوق إليك ما حكى الله ورسوله عن أهل الكتاب من تحريف أكابرهم كتابهم ، واتباع الأميين منهم على ذلك ، تحذيراً لك ولسائر الأمة الاسلامية ، لأن الله ما ذكره لنا إلا خوفاً علينا من التأسي بهم ونصحاً لنا ، قال تعالى : « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » .. إلى .. « وما يعلنون » ثم قال عن الذين يتبعون المجرمين تقليداً لهم ، تحذيراً لعامتنا من حكامنا وعلمائنا المحرفين المبدلين لتفسير القرآن والسنة النبوية إرضاءاً لأكابرهم : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون » . ثم قال على الفريقين التابع والمتبوع ، الجاهل بما في الكتاب والسنة والقائد الذي جعلها شبكة لدنياه : « فويل للذين

يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » قد ضل تحتها كل مضل من حاكم ورئيس ديني ودجال ، وقد أكد هذا رسول الله ﷺ إذ قال : « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم،قالوا : يا رسول الله اليهودوالنصارى قال : فمن ؟ » يعني هم الذين أقصدهم . رواه البخاري ومسلم ، يشهد لهذا واقع الأيام عند الأمم الثلاث ، كما يدل عليه الاستقرار في حكوماتهم وحكامهم وما يتقرب به إليهم علماؤهم من التحريف والتبديل لكثير من الدين والآيات التي يفسرونها لهم ممالئين لهم ، فالحذر الحذر فانهم يلبسون الباطل بشيء من الحق ، ليروج ويقبل ولا يتبين للجمهور باطله، كما تسمع هذه الأيام في الاذاعات والصحف ، وقد حكى الله عنهم ماعلم مما سيجري بينهم يوم القيامة كما في قوله تعالى : « ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا نحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له اندادا » وقوله تعالى عن علماء السوء: « فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا مافيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون » ما أعظم التوبيخ فيها والتأنيب ، إذ أوجبوا على الله أن يغفر ذنوبهم لهم مع تبديل دنيه يفسرها قوله تعالى : « اتخذوا

أحبارهم ورهبانهم أربابا مـن دون الله » وهـذا في التشريع لأمتهم ، كما يضاف إلى شرع الله ، أو يستغنى به عن دينه من قوانين ولوائح ودساتير بشرية ، فيزعمون أنها أصلح لأمتهم وأنفع لهم في الدنيا ، وأنها للاصلاح لاتضر في الدين وهذا يلمس في الدول المنتمية إلى الاسلام وفي كل أمـة من الأمم الثلاث التي لايمنعها من الحكم بدين الله قاهر وقد تراهم يتعبدون ويصلون ويحجون ، ويعملون كثيرا من شعائر الاسلام وما أنزل الله على الأنبياء ، كما يصدق عليهم قول الله : « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم أمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلا لا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا » وما يروى كتفسير لها عن النبي انه قال:« كانوا يحلون لهم الحرام ويحرمون عليهم الحلال » .

فاستعرض ما تبيحه الدول تقليداً لمن لا يؤمـن بالله ولا رسوله ، من اوربا وامريكا والانجليز والوثنيين ، بل ومـن لاترتبطه بـدين سماوي رابطة كالشيوعية وغيرها . فانك ستجد ما يشرح لك هذه الآيات وغيرها، ومن ينطبق عليه منهاحكمها . كما عليك الا تغتر بدعوى اكابرهم الاسلام والايمان ، فتهلك معهم ، وقد قال الله لنبيه والمؤمنين على مثلهم : « فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء مايعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص » وذلك ان الأعمال التي توافق دين الأنبياء قد تصدر عمن يكذبهم ويكذب ما جاءوا به من عند الله ، بهـذا حـذر الله من الاغترار بمثل ذلك ، والانخداع بدعواهم واعمالهم انهـم مازالوا على

دين الله ، قال الله عز وجل : « ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي ومـا أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون » وتقدم قوله تعالى : « فلاوربك لايؤمنـون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » وهذا يدخل تحته حكمه بالقرآن ، ومـا جاء عنه ﷺ من السنة الثابتة فيما حكم بـه ، وأخبر وعمل به من دين الله ، وليس من العدل الحكم على من وقع في الشرك باجتهاده مع محبته لله ورسوله بما يستحقه المشرك ، ولا يحكم على المفضلين لحـكم الطاغوت على حكم الله بذلك .

باب

بطلان الأحجبة وما يعلق على الصبيان وغيرهم ويكتب

ومما يلحق بهذا من الجاهلية واليهودية مايكتبه علماء السوء مـن كل أمة لعامتهم من العوذ ينسبونها إلى دين الله ، ليتصيدوا بهـا الأموال والمنازل عنـد الجهال ، كالأحجبة والأحـراز ، والتحاويط ، والتمائم ، والعوذ،يزعمون لهم انها تدفع الأمراض والجن وتطيل العمر وتكثر الرزق وتكون سببا للبركات إليهم ، وهذا تأليه لها ولمن امر بها على التحقيق ، لأنهم يرجون منها مالا يملكه إلا الله من شفاء الأمراض ، ودفع الشرور وما إليه ، ومن أجازها ضال مضل لهم بها ، إذ هي داخلة تحت قول الله عز وجل : « واتخذوا مـن دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون » وقد تكايس بعض الدجالين والمتعبدين

على جهل بالاسلام ، فقـال اتربع بعمل ذلك لبعض المرضى وغـيرهم ، محتجاً بقول الله : « وننزل مـن القرآن ما هـو شفاء ورحمة للمؤمنين » وان النبي كان يرقى نفسه بالمعوذتين ، كما اقر من رقى بالفاتحـــة ، وان عبدالله بن عمرو كان يعلق ادعيةعلى بعض اولاده ، فيقال: الرقيه بالقرآن حق ، وما اقره النبي وعمله حق ، وما عداها لايجوز . ولا يحتج بالقرآن عليه ، واما فعل عبد الله بـن عمرو فلا يصح لاسندا ولا معنـاه وليس بدليل،لأن الأمراض وماتعلق اله الأحجبةيوجدفي حياةالنبي ﷺ واصحابه، وهو مما تتوفر الدواعي في النفوس على عمله وطلبه ونقله ، خصوصاً عند الشدائد والمصائب التي لايخلو منها زمان ولا مكان ولا امـة ، ولو كان هذا جائزاً لسبق إليه النبي ﷺ واصحابه .

واما ما يروي عن عبد الله بن عمرو فعبد الله قد وجد يوم اليرموك زاملتين من كتب اليهود والنصارى فأخذهما ، فلو قيل اشتبه على الراوي ما كان من عمل اهل الكتاب وكتبهم وان هـذا مـن الاسرائيليات ، لم يبعد واحاديثه المسندة إلى النبي ﷺ لم يتفق على قبولها،لأنها عن جدهوهو لم يلق جده ، وفيها اختلاف كثير ، وإنما قبل منهـا بعض العلماء ماله اصل من القرآن،او سنة النبي ﷺ الثابتة ، وكان في معناه سليماً لامعارض له بخلاف فعله ، وهو تعليقه الأدعية على من لم يقدر على حفظها من اولاده، فان احاديث النهي عـن التمائم ، ومـا يقصد بتعليقه رفـع العين والحسد والأمراض ، سواء القرآن وغيره بلا فـرق ، لأن القـرآن مـا انزل إلا لشفاء الأمراض القلبية ، والتداوي بـه مـن اخلاق الجاهلية ، مثل الشرك والنفاق والكذب ، كما عين الله بعض ذلك . وقال « إن هـو إلا

ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا» وقال تعالى: « شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين» وقال تعالى: «قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء». وليس في قوله تعالى: «وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين» دليل على جواز اتخاذه أحجبة وتعاويذ، لأنه كان موجودا عند النبي ﷺ واصحابه، والدواعي عندهم كالتي عند الناس اليوم، وهم يحبون ما يحبه الناس من إزالة ما بهم، فما اذن النبي ﷺ لأحد منهم فيه، ولا عملوه بعد وفاته لازالة الأمراض التي يعلقه قومنا لأجله، فهل يصح ان يعلق القرآن على المحموم او المجروح او كسير الرجل؟ وهذه الأمور كانت موجودة عندهم. فمن احتج بالآية لزمه ان يعمم الأمراض ويدخلها تحتها.

وأغرب شيء أن بعض من يدعو الى التوحيد ويعمل على سد باب الشرك، يكتبون القرآن في الأواني ويسقونه مرضاهم، ويكتبونه على بطن المرأة إذا أصابها عسر عند الوضع، ويدعونه أنه سبب لازالة ذلك، وقد نسوا أن هذه الأحوال توجد في عصر النبوة، والنبي ﷺ واصحابه لم يتداووا بها، وهي وسيلة إلى الشرك ومن ضمن البدع، فلا يصح لمسلم أن يأذن فيها. وقد استدل بعض الجهلة على جواز كتابة القرآن على بطن التي أصابها عسر بقول النبي ﷺ: «اغسلوا له» فيقال له: إن النبي ﷺ أمر بغسل مكامن العائن وصب الغسالة على المصاب وأنتم تكتبون القرآن عليها وفي الأواني وتأمرون بشربه وليس القرآن غسالة العائن، ويدعون أنه مجرب وسبب مفيد لازالة ذلك.

وقد يقف أحدهم على باب المسجد باناء ماء أو يطوف على الجالسين فيه، أو بمخرجة من القت (البرسيم) أو النبات ويطلب منهم أن يتفلوا فيها،

ويعطيها للمريض وللبهيمة المريضة ، كما يجمع بعض نسائهم من المستنقعات والمطر النازل في طرق الناس ماء ويسقونه المصاب بالعين ، أو من يظنون أنه مصاب بها . وقد أنكر الله على اليهود وضـــع التوراة في القراطيس أحجبة وتعاويذ وكتابة لهذه الأمور كما قال تعالى : « من أنزل الكتاب الذي جاءبه موسى.. إلى..يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً» كما مر في قوله تعالى:«فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا » الآية وقال الله تعالى : « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى » وليس وصفـــه على ماذكر تذكرة قط ، وإنما هو وسيلة إلى الوقوع في الشرك كما لمس ، فان قيل : لماذا يرقى بـه المرضى ؟ قيل:اتباعاً لما ورد عن النبيﷺواستنزالاً للرحمة،لأن التلاوة عبادة ، وتبليغ للحق يرجى بها برؤهم والشفاء ونزول الرحمة على المريض، وتذكرة له بالقرآن لعله ينتفع به ، لأنه من الأحياء الذاكرين الخاشعين لله بالقرآن .

وأما زعم من يتبرع بكتابة أحجبة من القرآن فان تحريم الأحجبة معلوم من الدين بالضرورة ، كما مر عن اليهود عيب الله لهم عليـــه، سواء عمل مجاناً أو بأجرة أو حسبـة لله ، وعلى المدعي لشيء من هذه الأمور ونحوها أن يدلل بالأدلة الصحيحة الصريحـــة على جوازه من القرآن والسنة النبوية ، حيث أن هذه الأمور التي مرت طبيعية لا تفارق الناس ، وهم يسعون في إبعادها بـكل وسيلة . وقد سئل النبي ﷺ عن رقي وأدعية من رقى الجاهلية فقال : « اعرضوا على رقاكم» ، فعرضـوا عليه ، فقال : « لا بأس ، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه مالم يـكن

فيه شرك » — أو كما قال — وقد أمر بقطع العـوذ وما يعلق على الدواب وغيرها ، خشية العين أو الشياطين . ومن هـذا يتبين أن قراءة القرآن للأموات وإهداء ثوابها لا دليل على جوازه ، لا من قرآن ولا سنة ولا إجماع عن الصحابة ، وقد علم النبي ﷺ المسلمين زيارة القبور وكيفتهـا ولم يذكر لهم قراءة القرآن ، كما أمرهم بما يجوز عندهم ، مع العلم أنهم يحبون لأمواتهم وأقاربهم مايحبه كل مسلم ، وهم أعلم الناس بمـا جوزه الاسلام . فان قيل : إن النبي ﷺ قال : « اقرأوا « يس » على موتاكم » قيل : هذا لم يصح وما تقدم يكذبه ، لأنه إنما أنزل لانـذار الحي ومن يخشى ، والميت فاقد للأمرين بلا ريب ، ومن قاس ذلك على جواز الحج والصيام عن الميت وغيره ، لزمه أن يكمل الحج والصيـام عن الميت إذا مات قبل إتمامه، كما يصلي عن المريض ومن مات وعليه صلاة،فان قال : أنا أملك ثواب قراءتي ولي التصرف فيه ، فعليه أن يجيز لنفسه وزوج المرأة تقديمها لضيفه وغيره لأنه يملك بضعها فعلم فساده .

باب

تكذيب الناس ربهم متى اتخذوا أولياء لهم من دونه كما كذبوه بطلبهم شفاعتهم لديه مالم يأذن لهم فيها

إليك الآيات المصرحة بما في العنوان بحكم الله عليهم أنهم مكذبون له، فيم أخبر به عنهم إذا تعلقوا على أحد من الخلق ليقربهم إليـه ، لنيل خير الدنيا أو الآخرة بشفاعاتهم ، أو يدفع عنهم شـرها لما لهم من منزلة بصلاحهم حقاً كان أو وهماً ما يعتقدونه فيهم ، سواء كان الولي إنساناً أو

جنياً أو جماداً أو حيواناً أو غير ذلك مما يتراءى لهم ، فاحرص على فهم هذه الآيات وتطبيقها كما طبقها ربنا عز وجل لئلا تدخل تحتهـــا وقوله تعالى : « وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين . فقد كذبوا » ولو كنت من قائلي لا إله إلا الله أهل القبلة قال تعـالى : « الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون » وقال تعالى : « وانذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون » وقال تعالى : « قل أغير الله أتخذ وليافاطرالسموات والأرض » وقال تعالى : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لايهدي من هو كاذب كفار » وقال تعالى : «ويعبدون من دون الله ما يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون » وقـال تعالى : « له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع من مالهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا » وقال تعـالى : « إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في سته أيام ثم استوى على العرش مـا من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربـكم فاعبدوه أفلا تذكرون » وقال تعالى: «أم اتخـــذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض » .

فعليك بتدبر هذه الآيات والقرآن لتعلم ماوصل إليه جهل النـاس

بربهم ، إذ كذبوه باتخاذهم الأولياء شفعاء لهم عنده ، بلا دليل ولا برهان يعذرون به ، وقد اخبرهم ان الشفاعة ملكه ، وان من طلبها من غيره فقد جعله شريكا له فيها ، وان من يشرك بالله فقدحرم الله عليه الجنـــة ومأواه النار وما للظالمين من انصار .

حكى الله هذا عن عيسى عليه السلام ، فقد علم من القرآن انه سمى معبودات المشركين آلهة على اختلافهم في تأليهها ، وانهم ماعبدوهـا وألهوها إلا لتشفع لهم عند الاله ، ومعنى ألوهية منها ، هو الذي تحن إليه القلوب وتألهه النفوس منهم لما ترجو منه من نفع او دفع ضر على سبيل الظن والوهم فيه ، وقد اطلق الله عليها اسماء كثيرة منها .

الآلهة كماقال تعالى : « أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغني عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون » .

وأصناماً «وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه ماتعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين » .

وأوثاناً « وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا » .

وأرباباً«اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيـــح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عمـــا يشركون » .

وأنداداً« يا ايها الناس اعبدوا ربكم ... إلى ... فلا تجعلوا لله أنداداً وانتم تعلمون » .

وتماثيل « ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون » .

وطواغيت «والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى » و «جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت » .

وشفعاء « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » .

وأولياء « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » .

وأنصابا « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس » .

ورجزاً ورجساً « فاجتنبوا الرجس من الأوثان » « والرجز فاهجر » .

وشركاء وغير هذه كما جمعها باسم **الباطل** « ذلك بأن الله هو الحق . وأن مايدعون من دونه هو الباطل » . وهذه تسمية عربية لاتمس المعبود الصالح بسوء ولا ذم ، إذ منها الأنبياء والملائكة والصالحون كما علم من سنة الجاهلية في كل زمان ومكان أنها لاتتقرب إلى الله إلا بما تعتقد فيه الخير والقرب منه ، والمسلمون أهل القبلة الذين وقع منهم تأليه لبعضها ينفرون إذا قيل لهم إنكم ألهتم غير الله بما تعملونه له من عبادة لجهلهم بذلك ، فلو أن الأولياء عند المسلمين تسمى آلهة ماعبدها أحد منهم لأن دينهم يحكم بالكفر على من عبدها ، وإنما عبدت بينهم مع تحريم القرآن عبادتها لتسميتها صالحين ، لهم البشرى في الدارين فسووهم بالله في المحبة . وأنواع من العبادة التي ألهوا بها بعض الأولياء ، كما ينكر التأليه لغير الله

اليهود والنصارى ، وينفرون منه كالمسلمين ،إذ الديانات السماوية والأنبياء لا تقرهم على تأليه غير الله ، ولذا قال الله لنبيه وأتباعه مقررا أن الدين الذي أنزله في الأرض لايقر إلها مع الله ، ولا يرضى أن يؤله غير الله أبداً قال تعالى : « وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » كالمكذب للعرب في دعواهم أنهم على دين ابراهيم .

فعلى قومنا أن يرجعوا إلى القرآن ويتفقهوا فيه لعل الله يفتح قلب من طرأ عليه شيء من أخلاق الجاهلية ، ويهديه لما يرضاه ، ويرده عن خطئه ، فان القرآن شفاء وهدى لعموم البشر ، كما قال تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم الى صراط مستقيم » يؤكده قول النبي ﷺ « لتتبعن سنن اليهود والنصارى » حيث أن قومنا ينكرون تأليه غير الله كما أنكروه وقد ألهنا وإياهم غيره .

باب

رد شفاعة كل شافع الى الله مالم تكن من المأذون لهم فيها لاهل التوحيد كما يحرم طلبها من النبي

كثر خلط الناس في هذه المسألة لاختلاف الآيات فيها على بعضهم ، حتى كذبت طائفة من الأمة بالشفاعة،وغلت أخرى فطلبتها من كل من ظنه صالحاً ، وزاد غلو الجهلة ومن يشبههم فطلبوها من الموتى ، فهدى الله الذين آمنوا ولم يردوا أحاديثها إذ جعلوا القرآن والسنة نصب أعينهم ،

وأمامهم مجتهدون في تدبرها والبحث فيها ، ورد الخلاف إليها في كل مسألة وقد بين الله على لسان نبيه محمد ﷺ مادل عليه ظاهر القرآن من تقبل منه ،ومن لا تنفع شفاعته عنده فيه ، كما فصل النبي ﷺ ذلك في أحاديث الشفاعة المنقولة عنه بالتواتر ، وأنها لا تطلب منه إلا يوم القيامة حينما يؤذن له ولغيره ، وإن كان الله أخبره أنه الشافع المشفع ، كما يعين له أوصاف الذين يؤذن له فيهم يوم القيامة بالشفاعة ، وتنفعهم شفاعته وأنهم أهل التوحيد ، لهذا أخبر أمته أنه يكون على حوضه يوم الحشر ، وأنها ترد عليه ، فيشفع في قوم يرى عليهم سيما المسلمين يعرفهم بتلك العلامات ، فيقال له : إنهم ليسوا ممن أذن لك أن تستشفع فيهم إنهم لم يزالوا مرتدين عن دينهم . وقد منع الله خليله إبراهيم من شفاعته لقوم لوط وقد ألح على ربه في ذلك حتى قال له : « يا إبراهيم أعرض عن هذا » وعاتب نوحاً إذ استفهم عن ابنه لماذا أغرق ؟ كالشافع له عند ربه ، ورد شفاعة محمد بعمه ولأمه وهي لم تحضر بعثته إلى الناس ، ولم تكذبه . فاذا فهمت هذه الجملة عرفت الشفاعة الجائزة والممنوعة ، ونجوت من التخليط وإشراك الشفعاء مع الله في ملكه وحده لاشريك له ، كما قال : « قل لله الشفاعة جميعاً» وعليك أن تفهم الآيات والأحاديث الواردة فيها على ضوء ماذكر . وإليك ذلك بالترتيب كما تفهم أنها كصلاة الناس على الميت وطلب بعضهم لبعض الخير من الله ودفع الشر عنهم ، غير أنها لا تقاس بشفاعة بعض الناس لبعضهم في التأثير عليه تعالى . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :«ذكر رسول الله ﷺ الغلول فعظمه وعظم أمره ، وقال لا ألفين أحدكم يأتي يوم القيامة وعلى رقبة بعير له رغاء يقول : يا محمد أغثني فأقول : لا أملك

لك من الله شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يأتي يوم القيامة وعلى رقبته بقرة لها خوار يقول : يامحمد أغثني فأقول : لاأملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يأتي يوم القيامة وعلى رقبته شاة لها ثغاء يقول : يامحمد أغثني فأقول : لاأملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يأتي يوم القيامة وعلى رقبته فرس له حمحمة يقول : يامحمد أغثني فأقول : لاأملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك ، أو على رقبته رقهة تخفق أو على رقبته صامت يقول : يامحمد أغثني فأقول : لا أملك لك من الله شيئاقد أبلغتك » . رواه البخاري ومسلم . هذا خطاب من النبي كما ترى يوجهه لجميع المسلمين وبالأخص أصحابه المهاجرين والأنصار وأقاربه الأدنين يذكرهم بشر الغلول من الأموال العامة للمسلمين ، كالغنيمة وبيت المال ، كما يخبرهم أنهم لو غلوا منها وجاءوا إليه يطلبون منه أن يشفع لهم عند الله ، لئلا يعذبوا أو ليراحوا من حملها ، حينئذ لم يقدر على طلب الشفاعة لهم ، أو لم يأذن له فيهم كما يكون رده عليهم « لاأملك لكم من الله شيئا قد أبلغتكم » . فأين المنادون له اليوم قبل يوم القيامة ، وأين من يقف عند قبره قائلا : يارسول الله أنت لها ، أنت لها ولكل كرب، أين الذين يزعمون أنه يملكها ويشفع لهم ، ألا يقرأون قول ربه « أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار » . نسأل الله أن يشفعه فينا ولا يخلفنا عن متابعته وأن يحشرنا في زمرته ﷺ وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وسلم .

وقولنا إنها لاتقاس بشفاعة الناس بعضهم لبعض فلقول الله تعالى : « مالهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا » .

باب

بيان أن شفاعة النبي والمؤمنين لمن مات على التوحيد كما لايجوز أن تطلب منه في الدنيا كما فيه بيان من لاتنفعهم الشفاعة .

اعلم أن شفاعة الشافعين في الأخرة لاتطلب منهم في الدنيا ، وإنما تطلب يوم القيامة ، كما تدل عليه الأحاديث لأنه لا يعرف من يؤذن له ممن لايؤذن له فيها . عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل بني دعوة مستجابة فتعجل كل بني دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا » وعنه أنه قال : « من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة يارسول الله ؟ قال: من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » وعن أبي سعيد من حديث الشفاعة « فيقول الله شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون وبقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط يدخلهم الجنة» وعن أنس من حديث الشفاعة قال : قال رسول الله : «فاذا رأيت ربي وقعت ساجداً . فيقال لي : اشفع فيحد لي حدا ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، ثم أدعو ثلاثا » رواهن البخاري ومسلم . وقال الله تعالى: « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » كما قال : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه».وقال تعالى: « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت

الآن ولا الذين يموتون وهم كفار». وقال تعالى: « كل نفس بما كسبت رهنية إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ماسلككم في سقر ؟ قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين » . وقال تعالى :«إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم» . وقال تعالى: «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » . وعن أبي هريرة قال : « قال رسول الله : يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيحلؤن فأقول ياربي أصحابي فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك ، إنهم رقدوا على أدبارهم القهقرا » . وفي هذا ما تضمنه العنوان . وأن من لم يؤذن له في الشفاعة فيه لا تقبل شفاعته له ولو شفع في أحد من الأمة ظنا أنه محمد ﷺ أذن له في الشفاعة له ، ولا ينقص من قدره عند الله ، كما مر عن ابراهيم في قوم لوط ، ومحمد في عمه وأمه ، والذين صرفوا عن حوضه ، وأن من عجز عما كلف به يرجى له العفو من ربه ، كما في آية المستضعفين ودل عليه « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » وهذا من عدل الله ورحمته بعباده .

فعليك بتدبر القرآن والجمع بينه وبين السنة النبوية ، وما دل عليه العقل وساعده عليه واقع الحياة ، فان الله جعله آلة لفهم الحق واستعماله له ، كما ترمي نظرة على تخليط الناس واستعمالهم مالم يأذن به الله مع دعائهم وعبادتهم وتعلقهم على من لا يملك لهم نفعا ولا ضرا من كل مايتوسلون به إلى الله ، فان معظم ذلك داخل في باب الشفاعة المنفية كسؤالهم بحق الأنبياء والصالحين وغيرهم ، ودعائهم الله عند قبر أو مكان يعتقدون أنه

أقرب لقبول دعائهم فيه وقضاء حاجاتهم ، وكل من لم يتقيد بالوارد في باب الدعاء والطلب من الله أو معناه الذي دل عليه « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » . فله نصيب مما في آخر هذه الآية ، إذ خرج على الله ودخل في الجاهلية، ولو اعتقد أن الله ربه وبيده الاعطاء والمنع ، كأن يسأل الله بجاه نبي أو حق صالح على الله أو بركة عالم أو ملك ، أو مايتوهم فيه ذلك عند الله ، فانه ما أضاف ذلك إلى اسم الله إلا لاعتقاده أنه يؤثر على الله في تحصيل مراده ، وأنه أعظم من أسمائه إذا دعاه بها مفردة ، فان الجاه القوة والنفوذ الحامل لمن توسل اليه به أو إلى الله وسأله به أنه يرغمه على إعطائه مايريد ، سواء بقوته أو دلاله وحب الله له ، أو تأثيره بأي تأثير على الله ، كشفعاء الجاهلية التي عابها عليهم وعد ذلك منها شركاً ووثنية، قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لابيع فيه ولا خلة ، ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون » وقال تعالى : «واتقوا يوما لاتجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل فيها شفاعة » وفي التي تليها « ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ، ولا هم ينصرون » وقال تعالى :«وأنذرهم يوم الآزفة إذا القلوب لدى الحناجر كاظمين »... إلى . . « ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » بهذه الآيات ونحوها احتج من نفى الشفاعة مطلقاً وقال في شفاعة الملائكة : وأنها لاتغني أحداً مالم يأذن لهم فيها « وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى » . وقال فيها منهم وغيرهم على سبيل التحدي لجميع الذين عبدهم المشركون ويعبدونهم هم وغيرهم ممن

يدين بدين سماوي ولم يؤذن له في الشفاعـــة أو يشفع لمن لم يرض الله عنه ، لمانع عنده من عموم الخلق : « قل ادعو الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقـال ذرة في السموات ولا في الأرض » وقال لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له وقال تعالى : « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » وقـال في نفعها للشافع والمشفوع له في ذلك اليوم بعد أن ذكر القيامة : « يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً يعلم ما بين أيـديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً » . بخلاف المشفوع إليه من الخلق ، فانه لايعلم الحاضر ولا المستقبل ولا الماضي ، ومن شأن الشفيـع عنده أنـه يذكره ويساعده ويكمل نقصه ، وقال في أنه لايجروأ أحد من الخلق على طلبها يوم القيامة مالم يؤمر بها : « إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له النـاس وذلك يوم مشهود يوم يأتي لا تـكلم نفس إلا باذنه » . وقال تعالى في تمليك من يدعي معه ويعبد ويؤله غير راض بذلك: «ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون» فاستثنى من جميـع الآلهة المعبودة من لم يرض أن يعبد معه ، كما ملكه إياها ، كالأنبياء والصالحين الذين شهدوا لله بالوحدانية وفهموا ماشهدوا منه واعتقدوه لربهم ، بخلاف من ينطق بها بلا علم ولا فهم لما تحرمه وتوجبه لله على العباد ، إذ يقولها بلسانه ويبطلها بأعماله وهو لا يـدري عن ذلك لجهله ، كما دخل تحتها كل داع ومدعو من المؤلهين باطلا يملك نفعاًأوضراً للراعي كالأحياء من الملوك والحكام القادرين في الدنيا على إعطـاء من سألهم وأذاه متى عاداهم . وهـــذا دليل بالطلب والخوف من أذاهم

قال تعالى : « ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون » . وقال تعالى : « ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذن من الظالمين » . وقال تعالى: « وماهم بضارين به من أحد إلا باذن الله » كما دخل تحتها كل موحد لله كالمكره على دعوة الأوثان وعبادتها وقلبه مطمئن بالايمان والتوحيد متبرىء من الكفر وما عبد مع الله .

هنا شبة راجت على بعض الناس تردها سنة الله متى لوحظت

فيها حديث الأعمى تعلق به من لم يستعمل عقله ولم ينظر سنة الله المطردة في البشر التي لا تتبدل فيهم لا زمانا ولا مكانا ، كما جبل الله عليها عموم الناس ، وأن الدوافع فيهم متوافرة لابعادها ، وبالأخص إذا ابتلى أحدهم وطال عليه البلاء بما نغص حياته، والصحابة أعلم الناس بما شاهدوا وبلغهم عن النبي ﷺ كما هم حريصون على الأخذ عنه ، فلو كان صحيحا لديهم لاستعمله عشرة منهم للدواعي الحاملة عليه ، مع العلم القطعي أن فيهم كثير من العميان والمصابين بالعاهات المتنوعة ، وكالذي جد عليهم من حربهم وهم أحرص الناس على الجهاد ، كما علم من سيرتهم وقصه عنهم القرآن ، والعمى مانع عن القتال في سبيل الله ، وكثير من فعل الخير ، وإن عذر من ابتلي بذلك وكل الخلق يكرهون العاهات ، والعمى أشد كراهة فلو صح عن النبي عليه الصلاة والسلام حديث الأعمى لبادر إليه أكثر العميان ليدعو لهم حتى يرد إليهم بصرهم،

أو يعذروا من أنفسهم كما هي الفطرة البشرية التي تحمل المبتلى على الكي بالنار ، هذا ما يتوجه إلى حديث الأعمى متناً ومعنى ، مع أن في رواته المجهول وإن صححه بعض الناس فلا يليق بالعاقل أن يهمل عقله ويطرح السنة الالهية في البشر ، ويدل العامة الى الشرك ، ودعاء النبي وسؤال الله بجاهه ونداءه كما في هذا الحديث ومنها قول الله تعالى : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً » . فقد افتتن بها من لم يدبر القرآن وظنها عامة لعموم المسلمين . كما ترى الكثير منهم يرى حجة ناقصاً إذا حج ما لم يعرج على النبي ﷺ ويحتج بالآية ، ومنهم من يطلب منه الاستغفار له حتى آل بعضهم إلى دعائه والاستغاثة به والشكوى إليه من ذنوبه وظلمه لنفسه ، ظناً أن هذا يجوز بناءاً على ما أضله به بعض العلماء ، بما احتج به من هذه الآية ، فلو قرأوا ماقبلها وما بعدها لأيقنوا أنها في المنافقين إذ المؤمن بالله ورسوله لايمكن أن يحاكم إلى الطاغوت أو يرضى به . وقد قال الله لنبيه في شأن المنافقين : « سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم » فمن رضي أن يجعل نفسه في هذه المنزلة فله مارضى مع العلم القطعي أن الصحابة لم ينقل عن واحد منهم أنه ذهب إليه بعدوفاته ﷺ وطلب منه أن يستغفر له ، كما من المجمع عليه أن الله لم يشرع لاحد ظلم نفسه أن يذهب إليه إذا أراد أن يستغفر من ذنوبه ربه ، كما قال الله تعالى: « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما » . في أي مكان وأي زمان لافرق بين البعيد والقريب منه فعلى المؤمن أن يدل الناس على الحق أو يسكت . وفي البخاري عن عائشة أنها قالت :

« وا رأساه فقال لها النبي ﷺ ذاك لو كان وأنا حي فاستغفر لك وأدعو لك »يعني لو سبقتيني بالموت استغفرت لك ودعوت لك وأما بعد موتي فلا أقدر على ذلك . وقال:« إذا مات الانسان انقطع عنه عمله ... الحديث...»

ومنها حديث : « من حج ولم يزرني فقد جفاني . ومن زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي » . هذا أو ما قبله كذب لأن جفوته محرمة على كل مسلم بل مخرجه بما فيه من الاسلام مدخلة له في النفاق ففيه دليل لبطلانه ولأنه ينافي قول النبي:« ولا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » والمعصية ليست من محبته لقوله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين » . وزيارته بعد وفاته لا يحصل منها ما يوجد في زيارته في حياته حتى تشبه بها ، فان الزائر له في الحياة يكتسب منه التعليم والشرف برؤيته ومخاطبته ، وقد كانت زيارته في حياته قبل الفتح والهجرة إليه واجبة على كل قادر لبيعته ومناصرته ، وهذا يدل على أن المخرفين يهرفون بما لا يعرفون ، وأن من اختلق هذه الأحاديث وافتراها عليه لا عقل له ولا يحسن الكذب ، إذا الكذاب الماهر يتقن كذبه . ومنها « حياتي خير لكم ومماتي خير لكم تعرض علي أعمالكم فان رأيت خيرا حمدت الله ، وإن رأيت شرا استغفرت لكم » ينادي بها كثير من خطبائنا على المنابر ولو علموا بفساده وإضلاله العامة لم يذكروه البتة ، ولكن من كان أمامه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه .

الأول إنه يغري العامة والفساق على ارتكاب الشر ماداموا يعتقدون أن النبي ﷺ يتولى الاستغفار لهم ، كما يعزون إليه أنه قال لربه حينما نزل

« ولسوف يعطيك ربك فترضى » قال : « ياربي لا أرضى وأحد من أمتي في النار » فهذا من جنسه .

الثاني : مخالفته لقوله تعالى : « يوم يجمع الله الرسل فيقول : ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا » . وفي هـذا طعن عليه أنـه كتم ما رأى من الشر الذي عرض عليه .

الثالث: مايكذبه الواقع ،فان الأمة ارتدت إلا قليلا ثبتوا على الاسلام مع أبي بكر والنبي ﷺ لايحدث بما يتنافى مع الواقع ، إذ كل من قـرأ مانزل بالمسلمين علم أن وفاته شر على الأمة ، لا كما يذكر هذا الكذاب .

الرابع : قول الله : « قل إني لا أملك لـكم ضراً ولا رشدا » وهـذا على إطلاقه لا يتمش مع الواقع منه ﷺ لأنه يملك تعليم الناس وإرشادهم إلى الخير في حياته ، كما أعطاهم ما وصل إليه من الغنائم في حربه ومـا أفاء الله عليه من مال وزكاة وهدايا وغيرها ، وهذا يدخل في الرشد كما ملكه الله الكثير منـه ، وكان يحارب الكفـار ويقيم الحـدود على من اقترفها ، ويجاهد المنافقين ، فعلم كذب هذا الحديث عليه ، كما دلت هذه الآية أيضاً على أن الله علم ما تفعله أمة معه بعد موته ، لأن الناس بطبعهم يغلون في عظائهم حتى يعبدوهم بعد موتهم ، فأمره أن يبلغهم انه لا يملك لهم خيرا ولا ضرا لمن عصاه أو أطاعه ليكفوا عن عبادته ، وهذا إخبار متضمن للنهي والتحذير عن ذلك .

الخامس: أنه بشر حياً وميتاً فكيف يتسع عقله للنظر في أعمال الأمة؟ اللهم إلا أن يخرج عن البشرية إلى الألوهية .

فالحذر الحذر أيها الخطباء من غش الأمة بجهلكم فان الكتب ملئت بالكذب عليه بعد موته بل وعلى ربه ، وكتابه بين أيدي الناس صريح في تحريم الكذب كما قال تعالى: «وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون» . وهذا باب خرج منه كثير من المسلمين ودخلوا في دين الجاهلية بحسن نية ولن يعذروا به، ولهذا صدق عليهم ما أخبر به ربهم لعابدي العجل كما قال تعالى: « إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين » . وما على وجه الأرض أذل منهم اليوم، ولو لم يكن لرد هذا الحديث وما دخل فيه إلا حديث الحوض لكان كافيا ، إذ ما عرف النبي ﷺ أصحابه الذين ارتدوا بعده، فكيف وبطلانه لمعناه ينادي بكذبه لأدنى طالب علم ، وقد ذكره الذهبي في « الميزان » وأشار إلى أنه موضوع . فعلى المسلم التحري للصدق ونبذ الباطل إذ ما من باب من أبواب العلم والفقه في الدين إلا والكذب فيه أكثر من الصدق ، والله يهدي قومنا لما اختلف فيه من الحق .

باب

ماعبده بعض المسلمين من آلهة الجاهلية بحسن نية

إليك ما نص القرآن عليه من بعض آلهة الجاهلية من البشر وغيرهم، يعبده الكثير من المسلمين في مساجدهم وغيرها ، لتعلم غربة التوحيد وهم مع ذلك يتبرأون من الشرك كما يتبرأ كل أمة تدين بدين سماوي من الكفر بالله وآياته ورسله، وقد دخل على المسلمين عبادتهم النبي محمد ﷺ الصالحين

والجن كما يشهد لهذا واقع الحال ، منهم تسمعهم ينادونه وهم في الباخرة والطائرة وغيرها: يابني صن حجاجاك، والواعظ معهم لم يؤثر عليهم بارشادهم إن لم يكن شريكهم في ذلك، كما ينادون الجن: يارجال الغيب أغيثونا خذوا عدونا . ومع هذا وغيره مما يخالف القرآن ويدل حالهم عليه يزعمون أنهم على العقيدة الاسلامية ، كما تراهم في كل بلد دخل الاسلام إلا ما شذ ، يبنون عليهم المزارات والقباب العالية ويقفون عليهم الأموال الكثيرة التي لا يسمحون بمثلها أو أقل منها لمن أوصاهم الله به كالوالدين ، فاذا نهاهم الناهي عن ذلك قالوا هذا توسل واحتجوا لدعواهم بقول الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة». كما لقنهم جهالهم وأقروهم عليه.

إليك ما يدل على عبادتهم غير الله قال تعالى: « إن الذين تدعون من من دون الله عباد أمثالكم »: « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا . أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه » والآيتان دالتان على ما قلنا من غير تكلف دعاء العبادة بجميع انواعها ، ودل على دعاء الطلب والسؤال من الجاهلية قوله تعالى: «فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون» ، بل قومنا أدخلوا في الوثنية كما ذكره الله في هذه الآية وغيرها فقد شهد لهم أنهم أخلصوا له الدعاء وأقبلوا عليه وحده معرضين عن آلهتهم، وقومنا المسلمون على عكس هذا، وقال تعالى: «ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون . فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين » . وقال : « ويوم يحشرهم جميعاً يامعشر

الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها » وقال تعالى: «وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً» وقال تعالى: «فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين» . وترى من المسلمين من يقرب لهم الذبائح ويجود على الجن بما يطلبونه منه خوفاً منهم ورجاءً فيما يؤمل على أيديهم مما لا يملكه الا الله، ولا يعتبر ما يقدمه لهم وللأولياء عبادة كما لا يعد الأولياء والاموات وقبورها أوثاناً لجهله بالعبادة وما كانت تعبده الجاهلية وتقدمه لها من أنواع العبادة التي تعمل مثلها لله .

مطلوب المشركين من آلهتهم كمطلوب المسلمين من أوليائهم

قال تعالى : « فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون» وقال تعالى« أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبؤنه بما لا يعلم في الارض أم بظاهر من القول » أي بينوا لنا صفات الشركاء فيهم فان الشريك يماثل شريكه من النعوت والصفات فقد جعلتموهم شركاء لربكم في العبادة والمسألة والحق الذي له عليكم ، أم تقولون قولا لامعنى له ولا حقيقة تفهم منه ولا يرضى بهذا ألا المجانين،وأنتم تترفعون عن حالهم،وقال تعالى:«ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم

وما نرى معكم شفعاؤكم الذين زعمتم إنهم فيكم شركاء » وقال : « ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين » وقال : « واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهـــم جند محضرون » : تأمل هذه الجملة بامعان تراها قد اشتملت على ما في العنوان والعنــاوين السابقة عليهـا من طلبهم شفاعة أوليائهم لهم عند الله والمسلمون ماأرادوا من الأولياء وما تقربوا به الى الله إلا لهذا ، وهذا يدل على توغل المسلمين في الجاهلية وبعدهم عن دينهم ، وقد نفى الله على المشركين وعاقبهم لطلبهم من أربابهم ، وإن امتاز المسلمون بقول : لا إله إلا الله . وصدقوا محمداً ﷺ في رسالته لفظاً ،فقد نقضوا ظاهراً لا إله إلا الله لأن القرآن والنبي يريد أن نصدقها ظاهراً وباطنـــاً بالعلم بما نعتقدالعمل به ، فان من كذبها ظاهراً باعراضه عن تعلم مايناقضها كمن كذبها باطنا مثل المنافقين كما قال في صريح الكتاب : « وما أرسلنـا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنـــه لا إله إلا أنا فاعبدون » . . . إلى . . . « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » . وقد صرحت الآية الأولى أن من افترى على الله كذباً أوكذب بآياته أنه مجرم، لادعائه الربوبية في التشريع للعباد ورفع ماشرع لهم أن يدينوا لله بـــه، سواء قال هذا بلسانه أو وضعه لرعيته أو أحد من الثقلين كالحكومات التي تشرع لرعاياها ما تستحسنه من أنظمة تناقض دين الله أو تضيف إليه ما يضاد شرعه بحجة الاصلاح للرعية .

وفي الآيتين بعدهانفى الله وجود شفعاء للمشركين ومن تأسى بهم في السموات والارض ، حيث أخبر أنه لا يعلم أحداً فيهـــا لهم ، كما نفى

ما طمعوا فيه على أيديهم من الشفاعة لهم ، وفي الأخيرة من الآيات أنهم اتخذوا آلهة لينصروهم على عدوهم وما يخافون منه كما يدفعون ذلــــك عنهم ، ومع طلبهم هذا من آلهتهم أخبر أنها لا تقدر على نصر أنفسها ودفع ماينزل بها فكيف تنصرهم مع عجزها ؟ بل هي في حاجة إلى عابديهـــــا يحرسونها ، كسدنة القبور والمعابد لولا وجودهم حولها لسرق ماعليهـا وما فيهـا من مال وستائر وأخشاب ولسطا عليها اللصوص إذ لا تقدر المعبودات على دفعه عنهـا . ويدخل تحت هذا التمائم والأحجبة وجميـع الأحراز والعوذات إذ كل من علقها من المسلمين يعلم أنهـا لا تمنع عن قطعها أحداوكسرها بنفسها،ومع المحترزين بها علم ، ومع هذا لا يتركونها بل يؤملون فيها الخير وهم في اعتقادهم فيها على ما سمعت عنهم .

يزيد مامضى بيانا الآتي متى تصور عن الجاهلية

قال هود عليه السلام لقومه : « أتجادلونني في أسمــاء سميتوها أنتم وآباؤكم مانزل الله بها من سلطان » وقال يوسف على معبودات عصره من أحيـــــاء وأموات وأوهام : « يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموهـا أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحـكم إلا لله أمـر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم » . وقال الله على أول هـذه الأمة « أفرأيـتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى » .... إلى.. « إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بهـا من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهـوى الأنفس » . وفي هذه تنبيه على قسمتهم الجـــائرة أن جعلوا لهم الذكور

ولربهم البنات ، وهي ناقصة عندهم وأقبح منها جوراً أنهم عبدوا بعض خلقه وصرفوا حقه لمن لايستحق أن يعبد ، كما أخبر الله أن الجاهلية وضعت أسماء على آلهتها من أسمائه تعظيما لها لتعبد ، كالرب والاله والعزيز والمنان وغيرها ، اتباعا لظنها لاعن برهان ولا دليل . وقد نفى الله عن آلهتها الالهية الحقة وأخبر أن تسميتها بذلك كتسمية الجاهل عالما ، والخائن أمينا ، والزانية عفيفة ، والصادق كذاب ، والنبي ساحرا ، والماهر أخرق ، وهكذا تسمية الجاهلية لأوثانها لا يقلب الحقائق عن أصلها ولا يجعل الباطل حقا ولا الحق باطلا ، ولا يغير الأمور عن حقيقتها ، فان المعبود الحقيقي هو الذي بيده النفع العام لعابديه وغيرهم والضر العام لمن يخرج عليه ويعاديه ، كما فطر الناس على هذا ولهذا قال تعالى: « وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه » لاعتقادهم فيه أنه يقدر على كل شيء ولايخفى عليه شيء ، وأن علمه محيط بعابديه وغيرهم كما يبصرهم ويسمعهم أنى كانوا ، وأن رحمته قريب منهم ، هذا هو الاله الذي تحن إليه القلوب وتفزع إليه النفوس متى اشتد عليها الكرب ، كما حكى الله عن الجاحدين له هذا في غير موضع من كتابه كقوله تعالى: «فلما أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي أمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين » . وقال عن عموم المكذبين : « فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين » . وهذا لعموم البشر في كل زمان ومكان متى أدركوا لايمكن أن يعارض أحد عند المصائب ولا يجعل بدل الاله الحق أحد من سائر الآلهة التي تعبد معه في كل زمان قط ، وإنما قاس الله من تغيرت فطرته وأهمل عقله في حال الأمن والعافية على أكابر

أهل الدنيا ، إذ لايوصل إلى ما بأيديهم إلا بالشفعاء إليهم ، ولهذا نهى الله أن يقيسوه بالمخلوقين لجهلهم العام وضعفهم عن النهوض بما يساعدهم عليه الشفعاء والوسائط إليه لهم ، كما قال تعالى: « ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لاتعلمون » . ولهذا شهد عليهم أنهم يعبدون مالا يملك لهم رزقا ولا يقدر على شيء يريدونه منهم ، كما يمثله كثير من عابدي الأولياء والمشايخ من المسلمين وغيرهم حينما يسأل وإن لم ينطق، خوفاً أن يقال إنه يشبه الله بالمخلوق ، فلسان حاله يخبر بذلك بلا مرية بل كل من عبد غير الله لا يعبد إلا أسماء ليس تحتها إلا أوهام لا علم له بها، كما ذكرت الآيات وقال تعالى: « ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم » .. الآية وقد استقر في نفوس جميع من يدين لله بدين سماوي أن الخالق لايماثل المخلوق في شيء من صفاته ، كما أن المخلوق لا يكسب صفاته ونعوته ، سواء وضعت أسماؤه عليه وسمي المخلوق بها، كالعزيز والجبار والمؤمن ، إذ الخالق والمعبود الحق يتميز في فطرتهم وجبلتهم عن خالقه ولو شاركه في الاسمية وما يغالط في هذا إلا الملحد ولذا قال : « وما نتنزل إلا بأمر ربك » ... إلى ... « هل تعلم له سمياً » يعني لا أحد يساميه أو يساويه في صفته ولا نعته البتة .

توضيح ماسبق بما حكى الله عن المكذبين بالبعث مع اعترافهم به اذ كذبهم باتخاذه ولداً

قال تعالى : « بل قالوا مثل ماقال الأولون . قالوا أ إذا متنا وكنا ترابا

وعظاماً أ إنا لمبعوثون . لقد وعدنا نحن وآباؤنا هـذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين . قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم، سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون» وقال تعالى: «لو كان معه آلهة كما يقولون إذن لا تبغوا إلى ذي العرش سبيلا» وقال في آية المانعة: «أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» . ووجود الأرض والسماء المفهومة من التثنية من غير فساد ولا ضراب فيهما دل على نفي الآلهة المستحقة للعبادة والشريك كما كذبهم الواقـــع ودلت الآيات على أن الله المنفرد وحده باعترافهم بملك جميع المخلوقات ، كما تحدى الجميع وقررهم لمن الأرض ومن فيها وما تحتوي عليه السموات والعرش وكل علوي من الكون ومافي هذه الأفلاك ، وممه يدبر أمرها ويتصرف فيها بلا منازع له ، ومن يجير من استجار به ولجأ إليه لحمايته ، ولا يقدر أحد منه قالوا الله وحده صاحب ذلك كله ، فلو كان معه آلهة تخلق وتنفع وتضر وتستحق اسم الاله والعبادة لها لخرجت عليه ونازعته الملك ، كما جرى عليه طبع أهل الدنيا من البشر ودلت عليه الفطرة لهم ، ولو كان كما قالوا لذهب كل إله بملكه من الخلق ونازع شريكه وجاره في الاستيلاء على ما في يده ماقدر عليه ، فلما لم ينازعه أحـد دل إقرارهم على بطلان معبوداتهم ، وألا حق لهم في عبادتها وتأليهها .

والخلاصة أن الاله المستحق للعبادة الذي لا شريك له في شيء منها هو المنعم على جميع الخلق بكل نعمة والقـدير على كل شيء ، العليم بـكل ما كان ويكون ، كما أجاب موسى عليه السلام فرعون « قـال فمن ربـكما

ياموسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » ثم قال على من أراد تأليه غيره رداً عليه : « إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً » كما قال الله تعالى : « وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديرا » ومثلها « أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط » وقال تعالى : « ورحمتي وسعت كل شيء » . بهذا انقطع وينقطع كل ملحد ومن لازم العلم بكمال هذه الصفات لله ألا يعدل عنه إلى غيره مهما بلغ قدره لطلب الحاجات التي فطر عليها الخلق ، كما نهى عن تغييرها في قوله تعالى « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله... الى ... منيبين إليه » ولهذا سمع النبي ﷺ رجلا يقول: «الله أكبر فقال على الفطرة ، قال : أشهد ألا إله إلا الله ، قال خرجت من النار » رواه مسلم . وهذا بيان من النبي للفطرة إذا أخبر عن الأعرابي أنه عليها لم يغيرها أحد وأنها إكبار العباد لربهم ، كما أخذ الميثاق على كل مكلف أن يقر له بالربوبية التي من لازمها أن يخلص له العبادة بعد بلوغ الرشد ، والاستدلال عليه بآياته الكونية ، كما عاتب من جعل له نداً حيث شكر من لم ينعم بنعمه ولم يخلق ذرة ، قال تعالى : « يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون » .

توجيه الخلق للخالق لما له من النعم عليه كما نهاهم أن يجعلوا له أنداداً

قال تعالى : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من

قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » وقال تعالى : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » وقال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » وقال تعالى : « وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » وقال تعالى : « وأن المساجد لله فلا تدع مع الله أحداً » وقال تعالى : « أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله » وعن عبد الله بن مسعود : « قال : سألت رسول الله أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال : أن تدعو لله ندا وهو خلقك » .

فعليك أن تراعي الآيات فقد اشتمل العنوان على جملتين :

الأولى : دعا الله فيها الناس إلى عبادته ، وهي الخضوع له مع محبته والذل له رغبة ورهبة وطاعته وطاعة رسوله ما استطاعوا فيما يأتون وما يذرون كما أن العبادة التي دعا إليها هي كل ما أمر به ونهى عنه وأحبه وكرهه من الخلق .

والثانية : نهاهم عن ضد ذلك ومنه دعاء الخلق معهم وعبادتهم كما توعدهم بالعذاب على مخالفته وأخبرهم أنهم إن عبدوا غيره أو سألوه مالا يملكه إلا الله مما لا يدخل تحت قدرة الخلق فقد جعلوه ندا وإلهاً معه وأخبرهم أنهم إن استكبروا عن عبادته أذلهم بدخول جهنم .

وفي الجملة الأولى إمتن عليهم بما لا يقدرون على إنكاره من خلقهم ومن قبلهم وبسط الأرض لهم ورفع السماء فوقهم ودلهم بذلك على قدرته الكاملة

كما أنعم عليهم بانزال المطر وإخراج ثمار الأرض وما يحملهم على شكره وحمده والثناء عليه إذ المنعم يشكر ويحمد كما فطر الله العباد على ذلك .

من استجاب لله مسرعاً أسرع في اغاثته عند الكرب

إليك جملاً من إجابة الله دعاء أسرع الناس استجابة لأوامره ووصاياه في الشدائد لعلك تلحق بهم في امتثال أوامره والانتهاء عن معاصيه حتى يسرع إليك في قبول دعائك متى دعوته لحاجة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم ، كما استجاب دعائهم وأسعفهم إذ طلبوه حالاً ،فان الانســـان في دنياه بين العسر واليسر امتحاناً من الله لعباده قال تعالى : « ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم»«وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا مابه من ضر» «وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن ألن نقدر عليه فنادى في الظلمات ألا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا لهونجيناه من الغموكذلك ننجي المؤمنين وزكريا إذ نادىربه»...إلى...«فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنـــا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهباً وكانوا لنا خاشعين » . وقال عن أول هذه الأمة التي هي أسرعها إجابة لأمره إذ دعاهم إلى الجهاد في سبيله و م في قلة وضعف لامثيل لها اليوم فيها : « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات » كما قال تعالى : « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين » . إلى غير هذا من دعائهم واستجابته

لهم ولأتباعهم باحسان ، ومنهم مارواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال « قال رسول الله ﷺ : هاجر إبراهيم بسارة فدخل بها قرية فيها ملك فطلبها منه فأرسل بها إليه ، فلما دخلت عليه مد يده اليهـا فقالت : اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلاتسلط علي الكافر فقط حتى ركض برجله » . يعني أنه أخذ عنها . وقصة الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار فدعا كل منهم ، ففرج الله عنهم ، وجريج المتهم بام الغلام دعا الله أن يكشف عنه الكرب وطلب الغـلام فنطق ببراءته ، وغير هؤلاء ممن كشف الله عنهم الشدائد عندما دعوه فلولا الاطـالة لذكرت منهم طائفة كبيرة .

باب
كيفية الدعاء المرجو قبوله عند الله مع أدبه

قال الله تعالى : « ادعوا ربـكم تضرعا وخفية إنه لايحب المعتدين.ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين»«واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تـكن من الغافلين » وقوله :« ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا » ... إلى ... « يا زكريا إنا نبشرك بغلام » وقوله تعالى : « واذكروه كما علمـكم مالم تـكونوا تعلمون » . فعلى الداعي والذاكر أن يقف عند تعليم ربه كما يلتزم ماجعله سببا لقبول الدعاء والذكر ، والدعاء هنا يدخل فيه الطلب والسؤال كما يعم دعاء العبادة ، ودعاء المسألة هو الذي أمر باخفائه ، كما علم من حديث النبي ﷺ الآتي ، ولأنــــه

أقرب للخشوع والابتهال والبعد عن الرياء واتعاب النفس ، ومن أسباب الاجابة على الدعاء أن يطمع في إجابة الله له بعمل ما أوصى به كما يكون بين الرجاء والخوف من رده لو أخل بشيء يجب فيه ، كخفض الصوت والخيفة ، إذ الأصل في الأمرين حين الدعاء والذكر الاسراء ، إلا ما استثنى بدليل كقراءة القرآن لتبليغه ، وإبعاد النوم عن التالي ، والأذان والتلبية وما جعله الله شعائر تعلن . وعن أبي موسى قال : « كنا مع النبي فكنا إذا أشرفنا على واد هللنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا . فقال : أيهاالناس اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنه معكم» إنه سميع قريب، تبارك اسمه وتعالى جده .

هذا ما أفادته الآيات والأحاديث في كيفية الدعاء والذكر المشروع للتقرب به إلى الرب ، وما تركنا منها مؤقتاً زمنه ومكانه لاتخرج كيفيته عما تحت هذا العنوان ، فاحرص على متابعةالحق وطلب رحمة اللهبالاحسان في العمل ، واياك والابتداع واتباع المبتدعين فيه وفي عموم الدين ، واعلم أن الأخير والأفضل ماسبق إليه نبيك ولا شر إلا وتباعد عنه.والدين الذي كلفنا به محدود ليس لاحد أن يزيد عليه ولا ينقص منه ما استطاع. واذكر عند الاختلاف قول الله لك ولغيرك : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » كما تعلم أن الباطل والبدع لاحد لها إلا بالقرآن والتأسي بالنبي المعصوم ﷺ.

باب

بيان جهل مسلمي اليوم مع زعمهم أنهم على ملة ابراهيم ككل أهل دين سماوي مفارق له

مقدمة تكشف للقارىء مافي العنوان : كانت العرب تدين بدين

ابراهيم عليه السلام ، كما أوصاه الله ببناء الكعبة ووضع بعض بنيـــه بأرضهم مكة ، وكانت قريش من ذريته ، وهم خدم البيت الحرام والقيادة الدينية لهم على العرب ، وعرفوا بالحنفاء . فلما طال عليهم الأمد تغير دينهم بما أدخلوا عليه من البدع والوثنية كأهل كل دين تقـادم . وكان ابراهيم عليه السلام طلب من ربه أن يبعث فيهم رسولاً يجدد لهم دينه ، ومن سنة الله ألا يرسل نبياً إلا بعد أن يغير دينه الذي عليه الناس ،وفي شمال الجزيرة اليهود ونزحوا اليه من الشام للتجارة على العرب ، ربما اضطهدهم بعض العرب لأنهم نزلاء فيهم فيقولون : سنقاتلكم مع نبي سيبعث قريبا ، وكان عندهم من أوصافه ما يدلهم على ذلك . فبعثـه الله من العرب فحسدوهم عليه ولم يؤمنوا به . فبدأ بتوجيه الناس إلى الله ونهيهم عن عبادة الأولياء وما يسمى آلهة ، ومازادوه على دينهم الصحيح ، وكان بعضهم يعيش على ما يصرف اليها من مال ونذور وصدقات . فنفروا منه وحاربوه ظنـاً من بعضهم أنه يغير دين إبراهيم عليه السلام والجميع من عرب ويهود ونصارى يعتقد أنه ما زال على ملة ابراهيم ودين الأنبياء كاعتقاد المسلمين اليوم . ومافيهم أحد يحكم بدين الله على أصله إلا بقايا لا نفوذ لهم والمسلمون أجمع يحسبون أنهم عليه ولم يدخله تغيير ، وقد قص الله علينـــا سيرة مشركي العرب واليهود والنصارى تحذيراً من اتباعهم لئلا نفسد دينـه المحمدي ، وكانوا يحرمون ماشاءوا ويحلون مـا أرادوا ، ولو خالفوا دينهم كجمهور الدول العربية اليوم المستقلة مع القرآن ومنها قوله تعالى : « وجعلوا لله ممـا ذر من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فمـا كان

لشركائهم فـلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء مايحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم » . . الآية يعني الذين ينقادون لطاعتهم من أكابرهم كالملوك والحكام الطاغين « وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لايذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون » يعنون لايحج ولا يعتمر عليها ولا تذبح باسمه بل باسم الذي نذرت له من جن أو انس أو وهم « وقالوا مافي بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء » . . الآية وقوله : « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا مارزقهم الله »وقوله : « ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لايعقلون.وإذا قيل لهم تعالوا الى ماأنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه أباءنا أولو كان أباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون » .

قف قليلاً ووازن بين أمر الجاهلية وما عند المسلمين وغيرهم ترى أن ما حملهم على وقف هذه الأموال وجعلها على الأوثان والمال غال عند أهله إلا كالذي حمل المسلمين على وقفها على الأولياء والمشايخ المعظمين في القبور وتحت القباب ،ولا يدافع عنها إلا أهل الجهل فيهم ومن له نصيب منها من علماء السوء والظلم من حكامهم . فعليك أن تأخذ تفسير الآيات من سنة الله في عباده التي لاتتبدل بتغير الأيام فان هذا أصدق تفسير كما قال : « فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلاً»«وما يقال لك إلا ماقد قيل للرسل من قبلك » .

ما قيل في ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام
وما يعد من الفواحش عبادة بحسن نية

وإليك ما قالوه في ابراهيم المتنازع فيه بين الطوائف الثلاث وهم أهل الدين السماوي في الأرض قال تعالى: « ياأهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده أفلا تعقلون » . . . إلى . . . « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » . وازن بين هذا الكذب على ابراهيم والكذب على محمد صلى الله عليهما وسلم ، إذ ينادي على مآذن المساجد به في كثير من البلادالاسلامية أن محمداً أول خلق الله ، وكان هذا في مكة على مآذنهاقبل دخول السعودية ، وإذا أنكره أحد هاج المصلون عليه وكانوا يعدونه لهم قربة إلى الله ، كما كان المشركون إذا رجعوا من حجة أو عمرة لا يدخل أحد بيته بعد العودة إلا بعد أسبوع أو يوم أو أكثر من ظهره ، وفي المسلمين اليوم من لا يدخل بيته بعد حجه إلا بعداسبوع، قال الله تعالى رداً على الفريقين : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها » . وأقبح من هذا ماتنكره الفطرة عند عموم البشر ويعيبه الله وهو طوافهم بالمسجد الحرام عراة مالم يجدوا ثيابا ، عند قريش تطوف النساء ليلا والرجال نهاراً زاعمين أن الله لا يقبل طوافهم في ثياب عصوه فيها ، كما في الشعر المأثور عنهم تقول المرأة :

اليوم يبـــدو بعضه أو كله ‏ ‏ ‏ ‏ وما بـــدا منه فلا أحله

رواه مسلم

ولهذا عده الله منهم فاحشة كما حكى منكرا عليهم تقربهم إليه بـه ونسبته إليه، قال تعالى : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون » وقال تعالى : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء أو تصدية » يعني صفيراً وتصفيقاً بأيديهم وألسنتهم فاستعرض مايتقرب بـه الصوفيون في أذكارهم وأورادهم وحضراتهم تجدهم قـد أحيوا سنة الجاهلية باسم الاسلام في مساجدهم وبيوتهم في البلاد التي تقرهم على ذلك ، ولهذا قال النبي ﷺ « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبر بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا حجر ضب لاتبعتموهم » رواه البخاري ومسلم . والمسلمون يحكون عن النبي عموماً كالمستفيض هذا عنه أو المتواتر « من سن في الاسلام سنة جاهلية فعمل بها بعده فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة لاينقص من أوزارهم شيء » وكل مبتدع ومتبع لسنة الجاهلية لايطبق هذا عليه لاعتقاده أنه على سنة المسلمين ، كما يعتقدونه ديناً يدخلون بـه الجنة وأنهم على هدى ونور ، وما أحيا أحد سنة الجاهلية منهم لأنه عمل ذلك بحسن نية ، وكأنه لم يسمع قول الله عن المشركين الذين دخل عليهم الشرك بحسن نية قال تعالى : « إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون » وقال تعالى : « قل هل ننبؤكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » وقال تعالى : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهـو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون » ودخل النبي ﷺ مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصباً ورأى صورة إبراهيم واسماعيل

في أيديهم الأزلام فقال : « قاتلهم الله والله لقد علموا أنها ما استقسما بهـــا قط » كل هذا يعطيك صورة أن المشركين ما وقعوا في الشرك بالله إلا بحسن نية ، وأنهم ما قصدوا بذلك إلا رضاء ربهم ، كما حكى عنهم أنهم قالوا : « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله » . والذين عبدوا الأولياء واتخذوا الأحجبة والأوهام من قائلي لا إله إلا الله ما فهموا مراد المشركين بتأليه آلهتهم وصدق عمر رضي الله عنه إذ قال (إنما تنقض عرى الاسلام عروة عروة إذا نشأ في الاسلام من لم يعرف الجاهلية) قال الله تعالى : « فاذا ركبـوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين » على عكس كثير من المسلمين فلما ظن المسلمون أن الأولياء لا تسمى آلهة تعلقوا عليهم وعبدوهم مع الله وحسبوا أن ذلك منهم ليس تأليهاً لهـــم ، وإن تعلقهم بهم وعليهم ليس عبادة فصدق قول عمر رضي الله عنه .

ما يقوله بعض العامة كما يدافع عنهم الجهال الرسميون

إن قيل هـذه الآيات التي تذكر أنها تتنـاول بعض المسلمين ويجري عليهم حكم الجاهلية لا يصح حملها على من شهد ألا إله الا الله وأن محمداً رسول الله لأنه موحد بالله ومؤمن بالقرآن والنبي ﷺ كما يبرأ من كل دين يخالف الاسلام، قيل له. لا خلاف بين المسلمين أن القرآن صالح لكل زمان ومكان يجب تطبيقه على كل فرد وجماعة متى عملوا به ومتى لم يعملوا به وأن الآية لا تكون مقصورة على سبب النزول باجماع المفسرين وسبب نزول القرآن مطلقاً وبالأخص الأمر بالتوحيد ونهي عن الشرك فان الآيات في هذا أنزلت لمنع الخارجين عن توحيد الله إلى الشرك وردهم إلى التوحيد وعبـادة الخالق

وحده ، كما تقدم في نعمه عليهم وحكمه فيهم وأن كل نبي أمر بالتوحيد ومتمماته ، ونهى عن الشرك ووسائله ولهذا قص الله علينا سيرة الرسل وعقائدهم وأعمالهم لتأس بهم إلى يوم القيامة . كما ذكر سيرة أعدائهم والمشركين ونهى عن الشرك وأعمالهم المخالفة لدينه إلى يوم الدين ، ولو لم يرد هذا لكان القرآن خاصاً بزمن النبوة ولا لوم على من بعدهم إذا خالفوه مقرين بلا إله إلا الله وإن لم يعملوا بها ، والمسلمون مجمعون على أن من لم يعمل بها لا نفيا ولا إثباتا فليس منهم ، وإن لم تقبل هذا أفلا ترجو ما في الآيات الآتية من الثواب، ولا تدخل نفسك في المؤمنين الذين قال فيهم «وبشر المؤمنين أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل » وقوله تعالى: « ياعبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون » . . الآية كما عليك أن ترضى بأنها خاصة بمن نزلت فيهم وأنك لا تدخل فيهم كما خصصت الآيات التي يندرج تحتها كثير من المسلمين بشركهم ودعائهم غير الله ومعه عند الشدائد والأمن ، وهذا غني عن التدليل عليه وانما ذكر لدفع أوهام الجاهلين والعامة المغرورين، هذا ماتنص عليه الآيات أو مايدل عليه ظاهرها بلا تكلف والله هو الذي يتولى السرائر والحكم بين المختلفين يوم الدين .

فعليك أيها المسلم أن تحتاط لدينك واعلم أنه ليس من شأن العاقل أن يدعو من لا يرجو نفعه ولا يخاف ضره ولا يستغيث به وبالأخص اذا اشتد عليه الكرب لا ينادي غير الله ولا مع الله كما تهديه فطرته فكيف إذا كان الله قد نهاه عن ذلك وتوعد من دعا معه إلهاً آخر يطلب منه مالا يقدر عليه ؟ فالمؤمن بالقرآن من باب أولى، ولهذا حكى الله عن

المؤمنين إنكارهم أن يدعو أحدهم من دون الله مالا ينفعه ولا يضره وأنهم لو فعلوا ذلك ودعوا من لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً لارتدوا عن دينهم قال عنهم : «أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله» وقال تعالى : «ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذا من الظالمين وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله» وقال تعالى: «فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين» وقال تعالى: «والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء» وقال تعالى : «وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا» وقال تعالى : «فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين» ولو لم يكن في هذا إلا الآيتان الأخيرتان اكفتا المؤمن عن دعاء غير ربه وقد علم أن السؤال يدل على ما في القلب من ثقة الداعي لله عند الحاجة بالمدعو فان دام فهو مخلص له وان التفت إلى غيره فمشرك .

وطاعة الرؤساء في معصية الله تأليه لهم ما لم يكره المطيع اذ هم الطواغيث التي أمر بالكفر بها

دل القرآن في غير موضع على أن من أطاع الرؤساء وغيرهم في في معصية الله فقد عبدهم مالم يكرهوه عليها ، فان أكره وقلبه غير راض كما يكون مطمئناً بالايمان بالله ورسله متبرئاً من الكفر وأهله فلا لوم عليه ، وهذا منهج إلى الرؤساء والحكام يجب التفطن له والحذر من الوقوع فيه . فقد حكى الله عن كثير من الاتباع انقيادهم لسادتهم فيما

حرم الله عليهم وهم يعلمون ذلك أو يجهلونه مع تمكنهم بالعلم بـــه فما عذرهم باعتذارهم ولا رفع عنهم العذاب ، فعلى من ابتلى بهذا أن يلتمس لنفسه المخلص من معصية الله مادام في عملهم الحرام عند كل مناسبة مـع المحافظة على دينه الذي هو حق الله عليه ، فان قدر على الاستغنــاء عن عن أعمالهم فذلك أبعد له عن الخطر والسلام لا يعدلها شيء ، وإن عجز عن طلب ما يعينه على معيشته التي لابد له منها فليتوخ الأقرب إلى مايبيحه الاسلام وليعمل ما استطاع على تقليل الشر وتكثير الخير وليحذر التزلف إلى أهل الشر والظلم الصريح ، فان النفوس جبلت على طلب قـرب من في أيديهم المناصب ومتاع الدنيا ، والذي لايتقـرب إليهم بالمـدح والثناء عليهم بحق أو باطل لايولونه ولا يكسب منهم شيئاً ، قال تعالى من تأليه الأكابر وعبادتهم قال فرعون لموسى : « لئن اتخذت الهــا غيري لأجعلنك من المسجونين » وقال : « ما علمت لكم من إله غيري » . ولمـا دعاه وملأه إلى عبادة الله وطاعته أنكر عليه فقال موسى : « وتلك نعمة تمنهـا علي أن عبدت بني اسرائيل » وقال إذ دعاه وهارون إلى الايمان بالله : « فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون » وكل ذلك يـدل على أنهم ألهوا بطاعتهم وتعظيمهم في بني اسرائيـــل وغيرهم وقال كل رسول لقومه إذ دعاهم إلى الله « مالـكم من إله غيره » وقال الله : « من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولـكن من شرح بالـكفر صدرا » يعني فقد هلك إلا من استثناه فلا إثم عليه وقال : « ولـكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ولا جناح عليكم فيما أخطأتم به ولـكن ما تعمدت قلوبكم » يعني أن المؤاخذة عليه ، وقال فيما يجري يوم القيامـة

بين الأتباع المتبوعين : « إن الله لعن الـكافرين .. إلى ... يقولون ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا » وقال تعالى : « قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار ... إلى . . . وقالت أولاهم لأخراهم (يعني بالأولى : القادة والأكابر الذين ألهوا وأطيعوا فيما حرمه الله) فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون » وقال تعالى : « احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله (إلى قول الأتباع لهم) إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين » يعنون بالقوة المضللة لنا على أيديكم قال الأكابر : « بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون فأغويناكم إنا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون » فاذا تصورت طاعة الجنود والرعايا غير المجبورين الذين يخضعون للدساتير لوضعية من البشر والقوانين التي صانها ومـا إليها من أضله الله واللوائح المضادة للقرآن أو مدخل بعضها مع التشريع الاسلامي علمت أنهم وسادتهم وكل من يرضى بذلك داخلون تحت الآيات المذكورة ولو وضعوا لهم ذلك بحسن نية وأنهم وحكامهم يمثلون بني اسرائيل وآل فرعون وغيرهم من زعماء الجاهلية ولم تستبعد أن يصدق عليهم قول الله: « وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلونا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين » . ومـن تعرف أعمال كثير مـن الجنود والرعايا المستخدمين لدى الرؤساء رآهم يتنافسون في طاعتهم وخدمتهم

المحرمة أعظم من تنافس المؤمنين في عبادة ربهم وطاعته، ولذا لو أمروهم بقتل من يعلمون أنه برىء وأن قتله لايحل ، أو أمروهم بالفجور بأحدوهم يعلمون أن ذلك لايجوز في الاسلام لبادروا في تنفيذ أوامـرهم وبذلك سووهم بالله في الألوهية العبـادة والرضا بمـا وضعوه لهم مـن تشريـع لايعصونهم فيه كما قال الله عـن سلفهم : « بالله إن كنـا لفي ضلال مبين إذ نسويكم (نعد لـكم) برب العالمين » فتقديم أمرهم أكبر دليل لما قلنـا ولو حافظ الكثير منهم على الشعائر الدينية الاسلامية ولو يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، لهذا طبقنا الآيات على من دخل تحتهـا ، لأن هؤلاء يعبدون الأكابر كما مثلنا أبلغ من عبادتهم لله ويطيعونهم طاعة عمياء أكثر من طاعتهم الرسول ، وهذا عين التأليه لهم كمـا دلت عليه الآيات الآنفة الذكر ودخلوا جميعا تحت قول الله تعالى : « أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكـون عليـه وكيلا أم تحسب أن أكـثرهم يسمعون أو يعقلون إن هـم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا » فان قيل إن حكمك على غير المسلمين واضح وصحيح وأما المسلمون فلهـم تأويل في طاعـة الرؤساء يعذرون به من قول الله: « يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » وقول النبي : « أطع الأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك » وما دخل فيهـا فلا يجوز الحـكم عليهم بما في تلك الأيات لأن هذه تلغي وتهدر في حق أولى الأمر قيل نص الآي المتقـدم يشملهم في الأخرة ، فان كان لهم عذر عند الله لم يمنعه حكمنـا عليهم ، وهو أعلم بقلوبهم وهذا هو الذي كلفنا به من إجراء القـرآن على من يدخل تحته من مؤمن وغيره والسرائر يتولاها العالم بها ، كمـا يؤكد هـذا نفي الله

الايمان بالكلية عمن لم يرض بحكمه وحكم رسوله ومن تولى عن طاعتها بعد الايمان متعمدا سواء كانوا مؤمنين أو غير مسلمين كما قال تعالى : « فـلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » وقال تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » يعني من لم يرض بذلك وقال تعالى : « ويقولون أمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين». فمن لم يعلم ما وجب عليه وحرم دينا مع القدرة منه عليه أولم يمشي عليـه فليس مسلما .

باب

تحذير الله اتباع الأولياء علماء وغيرهم
لئلا يتخذوا أربابا معه مالم يبرهنا عليه منه بالدليل الواضح

قال الله تعالى : « اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون » وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين » . فان قيل هذه في أهل الكتاب ، قيل : نحن أهل الكتاب مثلهم لأنه أنزل علينا وإننـــا سنستن بهم في الشر كما حذر منهم بقوله تعالى: « ياأيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله » ولولا علمه أننا نتبعهم لم يذكرها في كتابنا ، وسنته في البشر تشهـد بهذا كما أن الاحبار فيناوفيهم على ما ذكر عنهم وقال تعالى: «ولا تأكلوا مما لم

يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون » وقال تعالى : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » وقال تعالى :« أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله » وقال تعالى:« أم اتخذوا من دونه آلهة ، قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون»وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ:«لتتبعن سنن من كان قبلكم...الحديث» وعن حذيفة قال:« كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، قلت يارسول الله كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهـــذا الخير ، فهل بعده شر؟ قال نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها ، قلت صفهم لنا ، قال : قوم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا » رواهما البخاري ومسلم وزاد« وسيقوم فيكم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس » الآيات الثلاث نص فيمن تضمنه العنوان فوقها يفهمها أقل العرب معرفة :

ففي الأولى : النهي الصريح عن اتباع جميع الأولياء وهم المطاعون في الناس ، ما عدا الرسل من غير استثناء ، مالم يستدلوا على ما دعوا إليه بالمنزل إلى الناس من ربهم .

وفي الثانية : الاخبار القطعي بأن من أطاعهم في قولهم على الله بلا برهان ولا دليل منه معهم يكفر بعد إيمانه به ما لم يكن عنده عذر يبيح له اتباع من اتبعه .

وفي الثالثة : أوضح دليل من الله أن سيوجد في أمتنا أحبار علماء ورهبان يصيدون الدنيا بالدين ، ويمنعون الناس عن اتباع الحق ويخربون

عليهم آخرتهم بضروب من التحريف والتأويل الباطل والتبديل لكلام الله وإخراجه عن حقيقته التي يريد من العباد أن يفهموه عليها، وهذا تحذير منه تعالى للمؤمنين من علماء السوء فيهم وعبادهم الجهال الذين يقولون على الله بلا علم .

وفي الآيتين الأخريين مثل ذلك وزيادة أنهم يجادلون بالباطل ليبطلوا به الحق، كما أن من أطاعهم في ذلك مشرك بالله حيث جعلهم له شركاء في التشريع ، كما يلمس وقبله في الأمة فقد أكد هذا بما ساقه عن الجاهلية من قوله تعالى : « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » فدخل تحتها كل تشريع لم يأذن به الله ، وفي الأخيرة يأمر كل من دعى إلى شيء ليتقرب إلى الله سواء في التحليل والتحريم والايمان بـــه ، كالاخبار والاعتقاد وعموم أنواع العبادة يأمره أن يطلب من داعيه وآمره دليلا وبرهانا على ذلك ، فان لم يكن عنده برهان ولا حجة على ما دعا إليه فلا يجوز أن يطيعه. والبرهان المذكور لابد أن يظهر وبالأخص في أمهات الدين وما تظاهرت به الأدلة سواء كان في تفسير الآيات والحديث المسند إلى النبي ، كالذي نقله العدول الأمناء عنه ، وقد نص الله على صفتهم بقوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وقوله تعالى: « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » وقوله تعالى « وأشهدوا ذوي عدل منكم » . وهذا على الطلاق والرجعة فمن باب أولى من نجعلهم بيننا وبين الله في النقل لدينه وتبليغه فما لم يكن من نقل من وصفهم الله فلا يجوز في التشريع العام ما لم يشهد له دليل من الخارج على صحته، فإن الأحاديث

المكذوبة على الله ورسوله أكثر من الصحيح ، كما شهد الله على أهل الكتاب بالافتراء عليه ، وفي الحديثين دليل على ذلك لأن النبي ﷺ ماحدث بها إلا لعلمه أن سيكون في أمته من يتبعهم في الكذب عليه ، كما شهد به الواقع. فالحذر الحذر وقد بين لحذيفة أنهم يدعون بل ان الاسلام والعرب ودينهم إلى جهنم ،ويتكلمون بألسنتنا وقرآننا وأحاديثنا إلى مالا يوافق الاسلام . يفسر هذا ويؤكده مـا نسمعه في الاذاعة من جماعات يدعون الاسلام وقد نبذوه إلى خلفهم ودانوا بغيره وهـم يحسبون أنهم ماز الواعليه وينصرونه، كما يعدهم الكثير من عامة المسلمين بدعاياتهم منهم ، قال عن أخوانهم : « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون »إذ الداعي إلى الباطل لا يبرزه للناس ويدعوهم إليه مع ظهور فساده لهم لأن النفوس والفطر البشرية لا تقبله، إنما يحليه بشيء من الحق ليروج على المدعوين إليه بالزخرفة والتزيين وقد قنعوا دعاياتهم الزورية بالاسلام كما تسمع، قال تعالى : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون. ولتصغي إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون. أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا». استعراض جميع الدول التي تتسمى بالاسلام، وتدعي أنها عليه من كل من يزعمون أنهم مستقلون دولياً هل ترى واحدة منها تحكم بدين الله ، أم أنها تتبعه حكما يناسبها بهواها ويضمن لها المستقبل الدنيوي ويعينها على النهوض لتتساوى مع الدول الناهضة المشركة ، فاذا لم نحكم على هؤلاء بمفارقة الاسلام بـل المستضعفين منهم الذين يكرهون

حكمهم ومـا هم عليه من باطل مضاد للاسلام يبيح الزنا والربا والشرك والكفر لرعاياهم ، ومن يرضى به منهم كما حكم ربنا فما أسلمنا ولا فهمنا عن الله ما أنزله من الفرقان بين أوليائه واعدائه إذا استبدلوا دينه بغيره راضين به كما قال : « ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار » .

التقليد دين الجهال كما أخبر الله بعاقبته الوخيمة تحذيراً منه في الآيات الآتية اذ ينتهي باهله الى الشرك بالله

ومعناه اتباع غير الرسل بلا برهان ولا دليل من الله يجيزه ، فعليك بتدبر القرآن مـا استطعت فان الله سائلك عنه ، كما يسألك عـن متابعه محمد ﷺ قال تعالى : « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القـوم الظالمين » وقال تعالى : « ويوم يعض الظالم على يديـه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتي ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عـن الذكر بعـد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا » وقال تعالى : « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هـدى ولا كتاب منير وإذا قيل لهم ابتعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير » وقال تعالى : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » وقـال تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهـم كحب الله والذين أمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب إذا تبرأ الذين

اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهـم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهـم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار » .

اليك التعلق على هذه الجملة بما يعقله من له أدنى إلمـــام بالقرآن والعربيـــة .

في الآية الأولى : إخبار الله أنه لا أضل عن الهدى ممن سـار وراء هواه فيمايدين به لربه كما حكم عليه بالظلم وألا هداية له إلى الصواب مادام معرضاً عن وحيه .

وفي الثانية: بيان لندمه وتحسره على نفسـه يوم لا يفيد الندم لتقليده الرسول الذي أرسل اليه حيث أضاع الذكر وهو ما أنزل معه من ربـه بعد وصوله إليه مؤثراً اتباع خليله ومحبوبه تقليداً له بلا دليل ، كما يشهـد عليه يوم القيامة أنه أضله عن الذكر .

وفي الثالثة والرابعة:ماحكى الله من صفة أهل الجاهلية في كل زمان ومكان متى دعوا الى الله محتجين بمـا وجدوا عليه الأباء ، ومنهم علماؤهم وأكابرهم وما ورثوا من كتب وأقاويل عن اسلافهم وما نشأوا عليه ، كما حكم عليهم ومن دان بدينهم بالسفة والجهالة وألا عقل لهم ولا هداية في أيديهم من الله .

وفيما بعدهما من الآي يخبر أنهم بالغوا في محبة من اتبعوه وقلدوه دينهم حتى جعلوه ندا لربهم في العبادة والتشريع ، ثم أخـذ يذكر ما أعـــد

للظالمين والمقلدين من العذاب ، وما سيجري بينهم من تبرؤ بعضهم من بعض وانقطاع الروابط التي كانت بينهم في الدنيا ، وأن مصير الجميع التابع والمتبوع إلى النار ، وفي هذا كفاية لمن له عقل يزجره عن التقليد الأعمى . فاياك أيها العاقل أن ترضى لنفسك بما يؤول بك إلى النار ، ومما يحملك على استعمال عقلك وتدبر القرآن وألا تكون كالبهيمة تقاد إما إلى المسرح وإما الى المذبح وهي لاتدري عن سيرها وراء قائدها ، ماروواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا». وعن علي رضي الله عنه قال: «بعث رسول الله ﷺ سرية وأمر عليهم رجلاً وأمرهم أن يطيعوه ، فغضب عليهم وقال : أليس أمركم النبي أن تطيعوني قالوا : بلى ، قال عزمت عليكم لما جمعتم حطباً وأوقدتم ناراً ، ثم دخلتم فيها ، فجمعوا حطباً فأوقدوا ، فلما هموا بالدخول فيها فقام ينظر بعضهم إلى بعض ، قال بعضهم ، إننا اتبعنا النبي فراراً من النار أفندخلها، فبينما هم كذلك خمدت النار وسكن غضبه، فذكر للنبي ﷺ فقال : لو دخلوها ماخرجوا منها أبداً إنما الطاعة في المعروف » . تأمل الحديث الأخير لعلك تستيقظ من نومك وغفلتك فقد أمرهم النبي ﷺ أن يطيعوا أميرهم ، فمنهم من أراد أن يسير وراء الأمر بلا تعقل لما ينتج عنه من الضرر الذي حرمه القرآن وأرشد إلى البعد عنه العقل والفطرة

ومنهم من تصرف بتعقله وتدبر الأمر وعلم أن النبي لا يأمر بدخول النار وقتل النفوس وإحراقها،لهذا حض الله على تدبر القرآن واستعمال المواهب الانسانية كالعقل والسمع والبصر والتفكير واستخدامها فيما خلقت له حتى يهتدي العبد إلى ماخلق له من عبادة الله ومصالحه التي أباح له مما لا يستغني عنه ، فكيف مع هذا بحالة من يقلد العلماء والكتب التي يحبرها بعضهم بلا طلب للدليل على ما يدعون إليه وما فيها . فالله المستعان على طرح الباطل والاهتداء إلى نور الاسلام .

نبذة في الاجتهاد الاسلامي الفطري كما يجب رفض التعصب المذهبي

إن الله أوجب على المكلف رجلاً أو امرأة أن يبذل مافي وسعه من طاقة وقدرة في دائرة دينه حتى يصل إلى مارضاه الله منه كما فطره على مثل هذا ، إذا عطش أو جاع أو نزل به مايؤذيه يتحيل لنيل النافع ورد الضار بعد نزوله وقبله متى ترجح لديه ذلك على اختلاف المواهب والهمم وإيمان النفس به ، قال تعالى : « إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً » . وقال تعالى : « بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره » : فقد أعده لمعرفة ربه ، وقال تعالى : « فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » وقال تعالى : « خذوا ما أتيناكم بقوة واذكروا مافيه لعلكم تتقون » وقال لموسى : « خذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها » يعني الوصايا التي اشتملت عليها التوراة وقال تعالى : « وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قُبل فصدقت

وهو من الكاذبين. وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين. فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدهن إن كيدكن عظيم » . وقال تعالى : « ولا نكلف نفساً إلا وسعها» «لا يكلف الله نفساً إلا ما أتاها ». وقال مادحاً لداود وسليمان في اجتهادهما مثنياً على سليمان بثقوب فهمه وإصابته الحق : « وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم » . وفي قصة المرأتين إذا عدا الذئب على ولديها فأكل ولد الكبرى ، فأخذت ولد الصغرى غصباً منها، فتنازعتا فيه إلى داود فقضى لها لقوة لسنها ، ثم ذهبتا إلى سليمان ، فقال : ايتوني بالسكين أشقه بينهما ، قالت أم الولد ما تفعل ؟ قال : أقسمه بينكما . قالت : لا تفعل هو لها ، فلما رأى عطفها ورحمتها به حكم به لها . وما ذكر الله هذا ورسوله إلا لنستعمل العقل وندير الفكر ونتلمس معرفة الحق حتى نحكم به فيما غمض من المسائل كالذي ذكره الله عن يوسف وسليمان في القصتين . وعن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد » رواه البخاري ومسلم . وهذا الاجتهاد يدخل تحته كل أمر من أمور الدين يحتاج إلى أن يبذل فيه الجهد ويستفرغ لغموضه حتى يتبين الصواب لمن أراد العمل به أو تركه . وعنه أنه كان أميراً في غزوة ذات السلاسل فاحتلم فتيمم وصلى بالجيش ، وذكر أمره للنبي ﷺ : « فقال : ياعمرو أصليت بأصحابك وأنت جنب : فقال: يارسول الله سمعت الله يقول : « ولا تقتلوا أنفسكم» وكان الجو بارداً فخشيت على نفسي فلم يقل له شيئاً » رواه البخاري تعليقا . وبهذا وأمثاله احتج أهل العلم على الاجتهاد المطلوب من كل أحد عند الاحتياج إليه في

الدين ، وهذا هو الذي دل عليه القرآن كما صدرنا بالآيات وغيرها من الحديث ، وهذا الذي يوافق الفطرة وعلى الجاهل بالحكم أن يسأل أهل الذكر عن الذكر حتى يصل إلى معرفة ماجهله إن أمكن بدليل يذكرون له ،قال الله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » فمن قصر فاللوم لاحق به بعد بلوغ القرآن اليه ، ومن اجتهد فأصاب فقد أحسن واتبع ما أمره الله فدخل تحت عموم ذلك أهل العلم والعامة من الرجال والنساء ومن يقرأ ومن لا يقرأ إلى يوم القيامة لأن الله خاطب الجميع بذلك ، كما خاطبهم النبي بمثل خطاب ربه ، وقد رد الخطأ على ابن حاتم في تحريه الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، كما رد خطأ المسيء في صلاته وبين فساد اجتهادهما ، ورد اجتهاد المستحاضة ، ولم يأمر أحداً منهم باعادة مافاتهم من صلاة أو صيام ، ولا نهاه عن الاجتهاد بعد ولا قال لاتجتهد ، فان الاجتهاد خاص بالعلماء ، أوله شروط لا يجتهد إلا من استوفاها كما يدعي ذلك علماء الأصول ، وكلهم إلا من شاء الله منهم لايجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة ، ولا يفهمه أحد أننا نجيز للعامي أن يجتهد فيما لا يقدر عليه بل على كل أحد أن يعرف منزلته ولا يدعي مالا يسعه بمجرد أن كلف بالاجتهاد لمعرفة دينه وما يلزمه لله ، فاذا لوحظت تلك الشروط والقيود التي زعمها أهل علم الأصول وجدت صادة عن الاجتهاد لمعرفة الحق كما تقيده لما يقوله له بعض العامة من العلماء الرسميين عرفاً ، ولهذا ترى العامة يقول قائلهم أنا على المذهب الشافعي والآخر يقول حنفي والآخر يقول زيدي والآخر يقول حنبلي والآخر يقول إمامي .. إلى آخر ماقسموا من ذلك ؟ والعامي الذي لم يقرأ عن

الأئمة شيئاً مذهبه مذهب مفتيه إذ لا يعرف ما يدعيه وينتسب اليه وإنما يقوله تلقينا له ، فقد علم أن الناس في حياة النبي لم يتقيدوا بمذهب قط غير القرآن ومتابعة النبي عليه السلام وبعد وفاته حتى انقرض جيل الصحابة ثم جاء بعدهم التابعون ثم تابعوهم حتى نهاية المائة الثالثة لم يكن أحد يقلد أحداً ولا يتقيد بمذهب وفيهم العلماء وطلاب العلم الذين يتعلمون على أيديهم لم يقل أحد مذهبي مذهب شيخي وفيهم العامة من الرجال والنساء والأعراب على اختلاف أفهامهم واستعدادهم العقلي وحاجتهم إلى العلم كسائر الأمة اليوم ، وقبله فما أحد منهم قال : مذهبي بكري ولا عمري ولا عثماني ولا خالدي ولا علوي ولا غيرهم ، وهؤلاء وهم أكابر أصحاب النبي ﷺ وغيرهم من التابعين إذا أفتوا من سألهم أفتوه بما علموه من دين الله ، ولا قال أحد من التابعين : مذهبي مسيبي ولا قتاوي ولا طاووسي ولا رباحي ولا صادقي . فعلم أن التمذهب من دين الجاهلية بدعة فرقت الأمة ونشأ عنه تعصب وجاهلية حتى آل ببعضهم أن يقول : لا يجوز للحنفي أن يتزوج بالشافعية لأنه غير كفء لها . وقد حرم الله التفرق بين الأمة ، والمذهب من ألقاب الجاهلية فيجب رفضه ، وقد نهى النبي ﷺ عن كل بدعة كما نهى عن تعزي الجاهلية وقال : « من تعزي بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ، ولا تكنوا » وقال : « كل أمر الجاهلية تحت قدمي » وقد كسع رجل رجلاً في حياة النبي فغضب المكسوع إذ ضربه على عجزه فقال يا للأنصار وقال الآخر يا للمهاجرين فأخبر النبي أو سمعهم فقال : « أبعزاء الجاهلية وأنا بين أظهركم دعوها وهي ذميمة » . يعني التعزي والتناصر بذلك ، وقد سمى الله من يدين بالاسلام

المسلمين ولا خير فيما عداه . ويعجبني قول أعرابي جاء إلى شيخنا بالزبير ومعه أحد الزبيريين فقال الزبيري : ياشيخ أفتنا على مذهب الحنبلي عن كذا وكذا . قال الأعرابي : حنبل ماحنبل أفتنا على مذهب الرسول . فهذا الأعرابي هداه الله بفطرته إلى الصواب والتعبير الاسلامي وذلك الذي تغيرت فطرته طلب الفتوى على ماألف وأقره عليه العلماء ، وقد يقول بعض الجهلة : إن الأئمة جمعوا العلم النبوي . فيقال لهذا الأحمق الأئمة أعلم من أبي بكر الملازم للنبي ﷺ طول حياته . وقال النبي ﷺ لصحبه ليلة سروا فيها وتفرقوا وضل بعضهم عن بعض : «إن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا » . فعلى العاقل أن يختار لنفسه مالا يعاب عليه فيه وقد قال الله تعالى : « ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين » ومر قوله تعالى عن الذي اتخذ له مذهبا « ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا .ياويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا .لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني » . فهذا الذي يوجه الى العباد يوم القيامة والله يهدينا ويهدي قومنا لما اختلف فيه من الحق باذنه إنه سميع مجيب .

نهى الله عما يخرج الناس عن دين الاسلام الفطري كدفن الموتى في المساجد

من مقدمات الوثنية وأسباب الشرك وخروج الناس عن دين الاسلام بناء المساجد على الأموات ودفنهم فيها،للاحسان إليهم بادي ءذي بدء ظناً من فاعلي ذلك أنه يجوز في دينه وألا محذور منه على الأمة ، ولهذا كثر في أهل الدين السماوي مثل هذا قديماً وحديثاً حتى آل بعضهم مع طول

الزمن ونسيان العلم أن عبدوهم مع الله، كما دل على هذا صنيع أهل الكتاب والمسلمين اليوم في كل بلد دخلها الاسلام حتى إن العاقـل إذا أراد أن يميز بين دور المسلمين وغيرهم في بلد لم يكن سبق له دخولها عرفهم ببناء المساجد على الموتى ورفع القباب عليها، يعلم هذا من يتعرف الناس بآثارهم، وحكى الله هذه السنة الجاهلية في كتابنا للعبرة عن قوم أصحاب الكهف بدليل أن الموحدين منهم لله أنكروا صنيعهم إذ قاموا فيهم ناهين « فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها » وكان المشركون في بلدهم قد فتنوا بعبادة الأموات ودفنهم في مساجدهم فلما أنكروا عليهم هذا العمل المخالف للاسلام هموا برجمهم إن لم يرجعوا عـــن إنكارهم عليهم . كما هدد آزر إبنه ابراهيم عليه السلام إن لم ينته عن التحذير عن عبادة آلهته ، ولا يستبعد أن قوم نوح بنوا على آلهتهم المساجد والمعابد إذ هم من جنسهم للاحسان إليهم والدعاء لهم حتى إذا غاب عليهم الجهل ونسوا دينهم الذي يحرم عليهم ذلك عبدوهم ، فبعث الله إليهم نوحا لمنعهم عن الشرك وتوجيهم إلى الله وحده فلم يـؤثر عليهم مـع طول بقائه فيهم لتمكن الشرك والوثنية من قلوبهم يدل على هذا بناء المسلمين المعابد على صالحيهم ومن يحسنون فيهـم الظن من الأمـوات ، وهذه سنة تلقـاها الأخر عن الأول ، كما قال ابراهيم لقـومه : « إنمـا اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا » يعني أن الذي حملهم على اتخاذهم مـع الله أوثاناً المودة التي جرت بينهم في الدنيا كحبهـم لهم أيام أن كانوا معهم فيها، ولهذا قص الله علينا صنيع المشركين من أصحاب الكهف في صورة النهي عن اتباعهم وبناء المساجد على الأموات ، فما منع جمهورنا عن دفنها

فيها والبناء عليهـــا ولا زادهم إلا تعلقاً عليهم وتأسياً بالجاهلية . ومن أغرب الأمور أن يحتج بعض المسلمين بما في هذه القصة على جـواز بناء المساجد على الصـالحين قائلا : إن هذا من شعائر الله التي يجب تعظيمها ولو التفتوا إليها لوجدوها تحرم بناء المساجد على الأموات ودفنهم فيها، إذ ذكر الله أن الرعية من أصحاب الكهف اختلفوا في أمرهم حينما عثر عليهم أحياء بعد نومهم سنين ، وكان إنكار البعث قد فشا في قومهم كما جعلهم الله دليلا على امكانه قال الموحـــــدون : « انهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم » قال أولياء بلدهم:« لنتخذن عليهم مسجدا» ثم حكى الخلاف في عددهم ومكثهم فى الكهف وأخبر أنه لايعلم ذلك إلا الله ، ثم نبه على ما ساق القصة لأجله وهو النهي عن الشرك وتأليه أحد معه قال : « قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع مالهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا » . ومنهـا تعلم أنهم على ملة الأنبياء ، وقد بدلوها بالشرك ولا زالوا يشهدون بعد التبديل أن الله حق ورسولهم حق كاليهود والمسلمين اليوم فلم تخرجهم شهادتهم من الشرك إذ نقضوها به، وهم يحسبون أنهم على التوحيد فتنبه.

تسمية الولي الهاً بقرينة وأمارة كما تسمى الالهة أولياء والوكيل كذلك حتى ضمن معناها بدليل الآيات الآتية

والولي في لغة القرآن في مثل هذا هو : الاله الذي يعبد وبالأخص إذا قرن بنفي مع الشفاعة كما قال تعالى:«قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض » وقوله تعالى : « وأنذر به الذين يخـافون أن يحشروا إلى ربهم

ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون » في غير آية وقوله تعالى: « أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي » وقوله تعالى: « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى » وقوله تعالى: « والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم » . ومثلها الوكيل كقوله تعالى: « وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلاً . ذرية من حملنا مع نوح » يعني لا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح آلهة ، ومثلها « وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه » - إلى - « ثم لاتجدوا لكم وكيلا » ومثلها « ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لاتجد لك به علينا وكيلا إلا رحمة من ربك » وقوله تعالى: « لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا » بل هذا متضمن معنى الاله المعبود الحق النافع الضار الذي لامانع لما أعطي ولا معطي لما منع ، القادر على كل شيء كما في الآيتين الأوليين بخلاف الثلاث بعدها .

اليك جملة عن النبي مستفيضة يقبل مثلها وأقل منها صحة جميع أهل القبلة

وذلك كتفسير قوم أصحاب الكهف وخروجهم على دينهم ووقوعهم في الشرك أو بوسائله المحرمة لتعلم أن دفن الأموات في المساجد يقرب الشرك إلى الأمة التي تفعله ، وأن الله نهى المسلمين فيها عن التأسي بهم لا كما يحتج بها على الجواز بناء المساجد على الاموات ، كما يدل واقع الحياة على نتائجه السيئة بين المسلمين من عبادتهم ، مع أن النبي تولى تفسير ما يحتاج المسلمون إلى بيانه من القرآن بما أنزل إليه ، وهذا أصدق تفسير

على وجه الأرض.عن عائشة وأم سلمة وأم حبيبة أنهم تذاكروا عند رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات بعده كنيسة رأوها بالحبشة فيها تصاوير فقال:«إن أولئك إذامات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة» . وعنها وابن عباس قالا : قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» رواهما البخاري ومسلم .وهذا تحذير لهم من أن يبنوا على الموتى مساجداً أو أن يدفنوه في مسجد منها.عن جندب قال:سمعت رسول الله قبل أن يموت بخمس يقول : « ألا إن من قبلكم اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجداً ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك» رواه مسلم .

النهي عند السفر لبقعة من الأرض طلباً فضل العبادة فيها غير المساجد الثلاثة

لايجوز لأحد السفر الى أرض تفضيلا للعبادة فيها على غيرها ما لم يكن عليه دليل مايبيحه له ماعدا المساجد الثلاثة:مسجد الحرام،ومسجد النبي ﷺ في المدينة، ومسجد الأقصى، لأن التفضيل تشريع كالتحريم، والدعوى على الله حرام كما قال تعالى : « ومن أظلم ممن إفترى على الله كذباً أو كذب بآياته» وقال لنبيه:« ليس لك من الأمر شيء»ينهى النبي عن تفضيل يوم الجمعة بصيام من بين الأيام وقيام ليلتها من بين الليالي تنبيهاً لهم إلى ما ذكرنا ، ويدخل تحت هذا قبر النبي ﷺ وجميع القبور والمزارات وعموم الأيام والأمكنة ، فمن ادعى فضلاً للعبادة في مكان أو زمان لم يقيم

على تفضيله دليل عن الله ورسوله ولا إجماع فقد تعرض لعذاب الله وفتنته في الدنيا والآخرة كما قال تعالى : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » وقد أصيب كثير من المسلمين بفتنة الكذب على الله ورسوله وتلقى أكاذيب في هذا الباب ما لها أساس من الصحة كما نبه عليها أهل الحديث كقولهم: « من حج ولم يزرني فقد جفاني ، ومن زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي» ولم يصح من هذا شيء كما لم يخافوا من قوله : « من كذب علي متعمداً فليتبوء مقعده من النار » ولم يكتفوا بهذا بل جعلوه نداً لربه في العبادة وهم يظنون أن ذلك الذي فعلوا له غير عبادة. وبلغ بعضهم أن قال ماشرع الحج إلا للنبي . كما تسمع الكثير منهم في الباخرة والطائرة وغيرهما يقول: صن حجاجك يانبي، يانبي صن حجاجك. وإذا لم يكن هذا شركاً فما في الدنيا شرك. وبعضهم إذا ذكرته بالآخرة قال: الآخرة لها محمد وعلي ، كما يقول فساقهم : اعمل التسعة وطوف السبعة، يعنون تسع الكبائر وسبع طوفات بالبيت يتحدون ربهم ، كالمشركين القائلين : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء » ويقول بعضهم على قوله تعالى: « ولسوف يعطيك ربك فترضى » لا أرضى واحد من أمتي في النار ويؤملون دخول الجنة بلا عمل وغير ذلك. وقد نهى عن اطرائه بالمدح والغلو فيه كما قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» بل زادوا على النصارى ولم يبقوا لله شيئاً من الملك ، كما قال صاحب البردة التي يتغنى بها كل متعبد بالبدع إلا من شاء الله ومنها :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم
(يعني يوم القيامة) .

إن لم تكن في معادي أخذاً بيدي فضلا وإلا فقل يا زلة القدم
فان من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح ، والقلم

استعرض هذا على قـول الله تعالى : « أفمن حق عليه كلمة العذاب إفأنت تنقذ من في النار » وقوله تعالى : « إن علينا للهدى وإن لنا للآخرة والأولى » . مع أن صاحب البردة قال فيها :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

وما تقدم يزيد على ماقالته النصارى في عيسى. فعلى من يريد الله والدار الآخرة أن يعرض قوله على القرآن وما جاء عن النبي ﷺ فـما أقره قبله وما رده فعليه أن يرده ، عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا قال رسول الله: « لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هـذا ومسجد الأقصى » رواه البخاري ومسلم .

ومن القريب أن كثير من أهل التوحيد يعلم هـذا كما يعلم أن الصلاة في مسجد الحرام ممتـازة على الصلاة في مسجده أضعـاف المرات وأن العبادة فى مكة كذلك ومع هذا العلم جرف تيار البدع أكثرهم تراه يذهب إلى المدينة ويقول إنا ذاهب إلى الصلاة في مسجد النبي . فاذا ذكر بالصلاة في مسجد الكعبة وأنها أفضل وأوفر لك في المال والثواب وأريح لبدنك وأبعد لك عن تكثير سواد المبتدعين والمشركين عند قبره ﷺ قال : أنا

أعلم ، ولا يرضى أن يرجع عن ذلك وهو مقر به فهل بعد هذا علم ينفع وعقل يسمع ؟ ..

باب

اباحة زيارة القبور ما لم تعبد مع بيان كيفيتها

عن بريدة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، ونهيتكم عن لحوم الاضاحي فوق ثلاث فأمسكوا مابدا لكم ، ونهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء فاشربوا في الأسقية كلها، ولا تشربوا مسكراً» وعنه رضي الله عنه قال : «كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين المسلمين وإنا إن شاء الله للاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية» رواهما مسلم . وعن سلمة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «: من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثالثة وفي بيته منه شيء، فلما كان العام المقبل قالوا يارسول الله : نفعل كما فعلنا العام الماضي ، قال كلوا وأطعموا وادخروا فان ذلك العام كان بالناس جهد فأردت أن تعينوا فيها» رواه البخاري ومسلم، هذه الزيارة الاسلامية بينها النبي ﷺ ولم يكل أمرها إلى الناس وما كانوا يعلمونه عنها قبل ، فان كانت القبور تعبد وتعظم بمن فيها كما عليه كثير من المسلمين إذا زاروها أو واحدا منها فلا يحل لأحد أن يزورها لأنها داخلة في الأوثان التي نهى الله عنها بقوله : « فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور » وقوله : « والرجز فاهجر » سواء منها قبور الأنبياء والصالحين وغيرهم ،

وأما إن زيارة القبور الاباحة لا للعزيمة ولا الاستحباب فلأن الأذن بعد النهي يكون كذلك ، كقوله تعالى : « فالآن باشروهن وابتغـوا ما كتب الله لـكم » . كما يحرمها من يقول إن النبي حرم على المسلمين زيارة القبور حسب ما كانت عليه في الجاهلية ، فلما عرفوا التوحيد والشرك وما يحل عندها وما يحرم أذن لهم فيها ، فانهم يقولون : المعلول يدور مع علته، وقد أصبح المسلمون في زيارتهم المقابر كالجاهلية فحرمت لذلك وبالأخص زيارة المعظمين منهم فيها ، كما يدل على النهي حديث سلمة إذ لو عاد الجهـد على المسلمين حرم ادخار لحوم الأضاحي أكثر من ثلاثة أيام ليعينوا المجهودين بلحمها كما علل ذلك الرسول ، وعلى هذه القاعدة تحرم زيارتها على مـن تخلق بأخلاق الجاهلية وهم جمهور المسلمين اليوم ، وبالأخص من يعبد فيها لأنها لاتعدو أن تكون مباحة لامستحبة ، ودفع الفاسد مقدم على جلب المصالح ، كما عليه المحققون من أهل العلم ، ومـن هـذا يتبين لك تحريم قراءة القرآن على الميت وله ، إذ لو جازت لأمر بها النبي ﷺ في هـذا الباب أو قرأ لهم .

مالا يجوز قياس غير النبي على النبي فيه من الامة

ما زال الغلو في بني آدم حتى أله بعضهم بعضا ، وحمل أخرين مـن أهل العلم على أن قاسوا على النبي فيه أكابرهم وهو من اختصاصه باجماع أصحابه وشهادة الواقع تكذب قياسهم ، علما عند جميع الأمة أن الاسلام لايصادم الواقع ، ولا يكون أحد من الأمة كالنبي ﷺ فما اختصه الله به ، كما علم من أياته الدالة على صدقه من القرآن والسنة المنقولة عنه نقل

التواتر ، وقد غفل بعض أهل العلم قائلاً: باب جواز التبرك بآثار الصالحين، وأورد شيئاً مما أذكره فالحذر من زلة العالم ،فكل يؤخذ من قوله ويترك إلا الرسول ﷺ. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ وقل الماء ، فقال: « اطلبوا فضلة ماء » . فجاءوا باناء فيه ماء قليل ، فوضع يده ﷺ في الاناء ثم قال ﷺ : « حي على الطهور المبارك والبركة من الله» . وعن البراء رضي الله عنه : «أن رسول ﷺ الله بعث عبد الله بن عتيك لقتل أبي رافع اليهودي فقتله فنزل مع الدرج فوضع رجله فانكسرت ساقه ، فأتى النبي ، فقال: ابسط رجلك فبسطت رجلي فمسها فكأنها لم أشتكها قطاً» وعن جابر رضي الله عنه قال : « رأيت بالنبي خمصاً شديداً فقلت لامرأتي هل عندك شيء قالت: صاع من شعير ولنا بهيمة فذبحتها ،وطحنت الشعير، فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : « لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء وجاء فبصق في العجين وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيها وبارك ، ثم قال: ادع خابزة فلتخبز معك، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها فقال النبي ﷺ يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع لكم سؤراً فحيهلا بكم فأقسم لقد أكل القوم وهم ألف حتى تركوه وإن برمتنا لتغط وإن عجيننا لتخبز كما هو» رواهن البخاري ومسلم ، وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : « كنت وبلال عند النبي ﷺ فدعا بماء فأوتي بقدح ، فغسل فيه وجهه ويديه ومج فيه ، ثم قال : إشربا منه وأفرغا على نحوركما منه ،وأبشرا ، فأخذا القدح ففعلا ، فنادت أم سلمة : أن أفضلا لأمكما فأفضلا لها طائفة » وعن أنس رضي الله عنه قال : « لما رمى النبي ﷺ جمرة العقبة ونحر نسكه وحلق دعا أبا طلحة

فأعطاه إياه ، فقال : اقسمه بين الناس » وعنـه رضي الله عنه قال : « نام النبي ﷺ عند أم سليم رضي الله عنهـا . فعـرق فجعلت تنشف ذلك العرق ، فقال مـا تصنعين قالت : نرجـو بركتـه لصبياننا ، قال أصبت » رواهما مسلم .

قلت إن الأمة مجمعة على أنه مختص بما تقدم وما دخل فيه إذ مـن زعم التأس به في ذلك لا يقدر عليه ، لأن ما فعله وجعل في فضلاته من صنع الله والدلائل على قدرته كما يصدق به رسوله ولو أراده النبي ﷺ قبل أن يأذن له فيه ما أمكنه، لأن الله يقول : « وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا باذن الله » يعني بوحيه إليه ، وأمـره له لا يتأخـر عن ميعاده ، ولا يتقدم عليه ، وهذا من الله في فضلاته وما يكثر بها ، كتفسير قوله تعالى : « أفمن كان على بينة من ربه ، ويتلوه شاهد منه » فهذا شاهد على رسالته وصدقه منه ، يعني بعضه أخرجـه عن طبيعته التي هـو عليها في البشر ، فكان مـا أجراه على يديه في بعض الأحـوال ، وقـد أصاب أصحابه المرض والعطش والجوع والجروح وغير ذلك فلم يقدر على دفع ذلك عنهم ، كما لم يطلبه أحد من أبي بكر ولا عمر ولا غيرهما قط مـع وجود الدواعي الفطرية والأسباب الحاملة على طلب ذلك في كل زمان ومكان إلى يوم القيامة ، لهـذا قلنا : إن الواقـع يشهد ببطلان من يدعي ما اختص الله به رسوله ، وهذا مثل ماجعل الله في قميص يوسف إذ رد إلى أبيه بصره حينما ألقي على وجه يعقوب ، كما وجد ريح يوسف بعد فصل العير من مصر ، وريح الانسان لا يشم من مسافة دقائق فكيف مئات الأميال ، وهذا من الآيات النبوية والدلائل على إلهية الرب وقدرته المغيرة للطبائع عما تسير عليه بسنته المستديمة .

باب

الخوف على العامة من العلماء

وبعـد فيجب التبصر من مقدمات الشرك لئلا يقع فيهـا ضعيف العلم لسكوت الأكابر عنه ، هذا وما دعاني إلى ذكر هذا إلا الخوف على العامة أن يغلوا في علمائهم وأكابرهم كغلو أهل الكتاب و صوفية المسلمين ومن شابههم من أهل الاسلام محتجين بما ذكرنا من خصائص النبي ﷺ على ادعائهم ، كما فعل هذا رؤساء الصوفية وأهل الطرق مع المريدين والأتباع لهم ، وقد دخلت وصاحب لي على رئيس جماعة يدعون أنهم على مذهب السلف في اعتقادهم ، وفيهم خير وكان يقرأ لهم : « سنن أبي داود » فلما جلسنا دعا أحد جلسائه بكوب من الماء وبصق فيه ، ثم أمره أن يأخذنا إلى غرفة بجواره فذهبنا معه ، فقال : يقول الشيخ اشربا هذا ، فقلت لا نشربه ما جئنا لهذا، وكان الشيخ يفعل هذا الكثير مع الداخلين عليه، ومثل هذا من الشيخ يحمل أتباعه على تأليهه بحسن نية إذ يعتقدونه فيه الشفاء والبركات ، وما لمس في آثار النبي ﷺ من الأمور الالهية التي نسبها النبي ﷺ إلى ربه حيث قال فيما تقدم « حي على الطهور المبارك والبركة من الله » ، لأن الله غير بها طبع الماء الذي كثر والبصاق الذي شفى فورا الكسير وغير ذلك ، وأنا أود من علمائنا أن يبينوا للعامة هذه المواضيع لئلا تزل أقدامهم ، فيظنوا أن الشيخ له أثر فيها أو أنها من قبيل كرامات الأولياء ، وقـد ترى بعض العامة يمسح ثياب الشيخ والعالم إذا أعجبته موعظته ويقره على ذلك ، وهذا علامة منه أنه يتوهم أن آثاره فيها شيء

من البركات التي لمست في آثار النبي ﷺ فيقع في الفتنة ويفتن من يحسن الظن به، والنفوس طبعت على محبة المدح والتعظيم ومن يطريها، ولو لم يكن فيها مامدحت به حتى ترى بعض العلماء يحبون من يقبل أيديهم ويأنسون له أكثر ممن لا يفعل ذلك لهم، وقد ينحني لهم ولا ينكرون عليه وهم يعلمون أن هذا لا يجوز لغير الله.

وقد سمعت بعض أهل العلم من المملكة يقول علماؤنا يمثلون رؤساء الصوفية وهو كما قال وبالأخص في الأيام الأخيرة، وقد علموا أن أصحاب النبي ﷺ لم يفعلوا له ما يعمله العامة لهم لعلمهم أنه لا يرضى بذلك، وقدم إليهم من جميع أسفاره وغاب الأيام الطويلة عنهم وهو أحب إليهم من أنفسهم فلا يقبله أحد منهم، بل يقولون كنا نراه يكره القيام له فلا نقوم، وحكى البخاري أن المعروف بينهم ومعه المصافحة فقط ، وربما عانق القادم من أقاربه، كما يروى أنه عانق جعفر وزيد بن حارثة لما قدما عليه، ولم يصح عنه غير ماذكرنا، وقابل الوفود وما قبله أحد منهم فأولى بالمؤمنين اتباعه والتأنس بهدى أصحابه معه رضي الله عنهم. وفي صحيح مسلم «أن أبا ذر دخل على النبي ﷺ فذهب يأخذ بيده فقرعه أبو بكر -يعني منعه- قال: وكان أعلم به مني، فأنت ترى أبا بكر مامنعه عن المصافحة لفشوها بينهم، وإنما منعه عن تقبيل يده فأقره النبي ﷺ على ذلك، وقد زجر أبو بكر الجاريتين عن الغناء. فقال: «دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد» فكلا الأمرين يعد من السنة كما بين هذا أهل الحديث بمعنى السنة النبوية.

كفرة صلحاء من أحد العلماء من غير شعور بحرمتها

كنت في حلقة الدرس فدخل الشيخ وجلس على الكرسي فأخذ يتندد،

فقال : كان عندي تلميذ لا يقبل يدي فعملت على اسقاطه في الامتحان ، فجاءني بعد يشتكي فقلت له : إنك إذا دخلت علي لا تقبل يدي ، فهذا جزاؤك لا والله أخليك تنجح حتى تحلق لي ناصيتك . فانظروا رحمكم الله ماذا جر حب التعظيم عليه وعلى تلميذه ومن يسمع منه ، ومن يومئذ كرهت الامتحان عند أمثال هذا الشيخ ، وقد عرض علي رئيس الوعظ أن يساعدني عند الامتحان لخلاف جرى بيني وبين بعض مرؤسيه ،فقلت له: لا حاجة لي إلى ما تدعو إليه ما لم يعلنوا خطأهم على الجمهور ، فعلى السادة العلماء أن يكونوا قدوة خير للعامة بالنبي وأصحابه ، ولايحسبن أحد أني متجن على أحد فيما ذكرت وإنما قصدي الاصلاح وحب الخير للجميع وللتتذكروا قول الله تعالى : «لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم» وقول النبي ﷺ «ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه» فكل نفس مملوءة بحب ما انطوت عليه هذه الآية ومعنى هذا الحديث من محبة المجد والشرف بحق وبغيره ، كما طبعت على حب المال حلالاً كان أو حراماً وقل من يحجزه عنه دين أو حياء متى قدر عليه لا يرتاب في هذا أحد ، فعلى العاقل أن يزم نفسه بزمام الاسلام لعله يكفها عما حرم عليها وينجو من طبعها الغاشم .

حجة من يرى تقبيل اليد

عن ابن عمر «أن النبي ﷺ بعثه في سرية فانهزموا من العدو، فرجعوا إليه ، فقالوا : نحن الفرارون ، قال بل أنتم الكراارون ، وأنا فئتكم فقبلوا

يديه ورجليه » رواه الترمذي وهذا حديث ضعيف لا يحتج بمثله عنـــد التنازع لأنه من رواية يزيد بن أبي زياد ، وكما أنه معارض بما هو أصرح منه واقوى وهو مارواه أنس عن النبي ﷺ أنه قيل له : الرجل يلتقي بأخيه أينحني له قال : «لا، قيل: أيقبله ويلتزمه ، قال: لا ، قال : أيأخذ بيده ويصافحه ، قال : نعم »رواه الترمذي كما احتج بما لا يجوز الاحتجاج به أن يهوديين قدما على النبي ﷺ فسألاه عن شيء فأخبرهما بـه وعرض عليهما الاسلام فلم يقبلا وقبلا يديه ورجليه. وهذا عمل أهل الكتاب وقد نهانا النبي ﷺ عن الاقتداء بهم ،وسكوته عن ذلك لا يدل على جوازه لنا إذ هما لم يسلما ولم يطيعاه في ترك الكفر إذ دعاهما ، فـلا معنى لا نكاره عليهما وقد أبيا عن طاعته ، و إن قيل فعل العامة من تقبيل أيدي العلماء إجلال لهم وتتم التحية لهم عند اللقاء ، قيل النبي ﷺ أولى بالاجلال وخلفاؤه ، وعلى من قال إنه من تمام التحية أن يصنع هذا لمن قبل يده من العامة وغيرهم لأن الله قد أمر بردالتحية أو أحسن منها ، ومن العجب أن ترى من ابتلى بحب التعظيم يمد يده ويأذن لمن دخل عليه وخرج من عنده أن يقبلها وركبته ، وهذا في حرم الله وقد تبع ابن مسعود بعض أصحابه كالمشيع له ، فقال لهم : ارجعوا فان هذا فتنة للمتبوع وذلة للتابع ، رواه ابن ماجه . والله يهدينا ويهدي قومنا الى متابعة النبي ﷺ .

أغرب ماتنكره الفطرة تأليه الناس غير الله معه بعد اقرارهم له بجميع النعم

الاله لغة : المعبود حقاً كان أو باطلا ، وإنما يؤله بالفطرة العقلية

السليمة الذي يرجى نفعه الغيبي المحسوس ويخشى ضره الملموس ، كذلك كما تهدي إليه الآيات التالية ، ولذا أنكر الله على المشركين تأليه غيره ، قال تعالى : « أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون. أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون. أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون. أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته أإله مع الله، تعالى الله عما يشركون. أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون » .

وفي هذه الآيات يقرر الله صفته التي بها يستحق أن يعبد وألا يشرك به غيره في العبادة ، فمنها خلق السموات والأرض وما فيها جملة، ثم أخذ يفصل ذلك يقول: من أنزل الماء من السماء ، وأنبت به الزروع والأشجار ، وجعل لكم الأرض قارة لا تمايل ولا ترتفع ولا تهبط ولا تضطرب بمن عليها، أصنع هذا أحد من آلهتكم أو أعان عليه ، ومن أجرى الأنهار العذبة خلال أرضكم ، وحفظ توازن الماء العذب مع المالح بقدرته الالهية حتى لا يطغى المالح الكثير مع سعته على العذب مع قلته ، ومن أرسى الأرض بالجبال حتى سكنت ، ومن يجيب دعوة المضطر والملهوف بما لا يقوى أحد على إغاثته سواه ، ومن يكشف السوء عنكم إذا نزل بكم بما لا يقدر

عليه غيره باقراركم له واعترافكم ، ومن خلق الجيل بعد الجيل من البشر وغيرهم ، ومن يهديكم إلى مصالحكم في ظلمات البر والبحر بما وهبه لكم من العقول المميزة لكم عن البهائم ، ومن يرسل الرياح المبشرة بالغيث والرحمة منه ، ومن يبدأ الخلق من جميع المخلوقات المتعاقبة كما تشاهدون هذا فيها ، ومن يوجد الأرزاق لكم على اختلافها خلقا وقسمه بينكم، ومن يعلم المغيبات التي لا يصل إلى العلم بها أحد من الخلق ما لم يمكنه من أسبابها، أإله مع الله من آلهتكم عمل شيئاً من ذلك ، ألكم رب غير من أنعم عليكم بهذا ، كما قال في موضع أخر على سبيل التحدي المشركين به « قل من رب السموات والأرض .. » إلى أن قال ... « أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء» فلو كان معه شركاء خلقوا كخلقه فاشتبه عليهم ما خلقوا بخلقه لكان لهم العذر في تأليهها وعبادتها ، وكلها قرره لاينكره أحد من الخلق قط فجدير عن تدبر هذه الآيات أن يخلص لله جميع أنواع العبادة ، كما يمجده ويسبحه أناء الليل والنهار ويشكره على آلائه ونعمه التي لا تحصى عداً .

الاستدلال على الله بآثار صفاته

إن الله أودع كتابه الأدلة الكافية لاقناع كل ملحد وجاحد له إلى يوم القيامة ، كما احتج موسى عليه السلام على فرعون إذ أنكر ربه بما عجز عن رده ، وبهذا يعلمنا الله كيف نرد على أمثاله من الجاحدين والمكذبين إلى يوم القيامة ، فلو علم الله براهين تقطع حجة الجاحدين لألهمها رسوله موسى عليه السلام واحتج بها عليه إذ ناظره بما ذكرناه وقال

فرعون : ومارب العالمين ؟ قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين » بهذا المحسوس أمامكم من العلوي السفلي الماثل، ومنه أنتم وآباؤكم الأولون ، والمشرق والمغرب وما بينهما من سحاب ورياح وغير ذلك ، إن عقلتم هذا الذي يستوي في فهمه ورؤيته العجمي والعربي فهذا من آثاره والأدلة على وجوده ، وهو صنعه لا شريك له في شيء منه ، وأنتم تعلمون أن الصانع قبل صنعته كما دلت عليه ، وإن لم يره أحد ، وفي أنفسكم أكبر دليل عليه لا تنكرونها أرواحكم وعقولكم التي بها ترون آثارها في منامكم، كما أزيدكم بيانا أوضح وبرهانا أصرح لا يقدر على جحوده أحد وإن كذبه بلسانه إذ قال له مرة :« فمن ربكما ياموسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » إلى مايلائم حاله كما أمره بتركيبه وصورته ونظامه الذي هو عليه «وهو الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا» لتهتدوا في سلوكها إلى مصالحكم وما أودع فيها لكم ولأنعامكم كما أنزل لكم من السماء ماء أخرج به أنواعاً من نبات مختلف في طعمه ولونه وثماره وروائحه ، وأنعم عليكم بهذا ومالا تقدرون على إنكاره ولا إضافته إلى غيره . وقد استدل بهذا على البعث بعد الموت إذ قال لهم : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » ومع وضوح هذا وتسليم العقل به والفطرة جحده بلسانه ولم يقدر على إنكاره بقلبه هو وملؤه ومن على شاكلته كما حكي الله عنهم في قوله : « فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين » .

وبهذا يحتج على فساد الشيوعية وما تفرع عنها من الاشتراكية

المقنعة بالاسلام لتروج على الضعفاء فلو كشف عنها لم يقبلها أحد قط ، ومثلها الوجودية ومؤلهـوا الطبيعة ومن فسد عقله ، ولهـذا قال تعالى في إبطال كل باطل يدلي به الملاحدة وعباد الطبيعة إلى يوم القيامة: « ولا يأتوك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً » يعني بالدليل والبرهان الذي يلجئهم إلى الاقرار بالحق وإن لم يعترفوا به لسانا ، وقد أقسم موسى على فرعون أن قد علم بالآيات التي جاء بها إليه وأيقن أنها مـن عند الله كما حكى الله عنه ذلك قائلا : « ولقد أتينا موسى تسع آيات بينات فسئل بني اسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون : إني لأظنك ياموسى مسحوراً. قال لقـد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السمـوات والأرض بصائر وإني لأظنك يافرعون مثبورا » ومثلها « فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون.أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون » يعنون ننتظر مـوته فنستريح منـه « قل تربصوا فاني معكم من المتربصين. أم تأمرهم أحلامهم بهذا » يعني أن عقولهم لاتنكر صدق محمد ولا تقدر على حجود الحق فان فطرتهم لاتقوى على رده قط ولا تأمرهم بذلك ولاتطاوعها قلوبها بالتكذيب بما جاء به مـن ربه إذ هو فاطرها وخالقها ، فكيف تنكره بل هم قـوم طاغون على ما أودع فيها ربهم فاذا كان مايدعون على محمد والقـرآن الذي تحـداهم به حقا «فليـــأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين.أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون » وهذا غير معقول إذ لا يوجد مخلوق إلا وله خالق ، كمـا يستحيل عقلا وفطرة أن يخلقوا أنفسهم فقد وجـدوا بعد أن لم يكن لهم ذكر ولا وجود « أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون » فقد اشتملت هذه الجمل على تقرير النبوة والربوبية لله عليهم وعلى غيرهم ، وهذا كاف

في رد الباطل على أهله وإثبات الحق لمن أراده رد حجة المعانـد المكابر في كل زمان ، فان قيل ما دام فرعون مقراً بالله فما معنى قوله : « أنا ربكم الأعلى»«ماعلمت لكم من إله غيري»«قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين » قيل معناها أنا ربكم مطاعـكم والمشرع لكم إذا الاله والرب المعبود كقوله تعالى : « اتخـذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا مـن دون الله » وقوله تعالى : «أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » وقوله تعالى : « ما من إله إلا الله » وحكى عنه أنه قال وقومه إذ دعاه موسى إلى الله « فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومها لنا عابدون » « وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل » فهذا ماعناه بربكم الأعلى والاله وتصوره مع قومه كطاغوت مصر مع مطيعيه باختيارهم يكشف لك ذلك كما قال الله تعالى عنه ومن تأسى به « فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين».

اعتراض على ماذكرنا مع الاجابة عليه وبيان الاله بأوضح معانيه

يقول بعض الناس: حكمكم على من خالفكم في الاعتقاد متبركا بالأولياء والصالحين وغيرهم أنه كالجاهلية مشرك وهذه تسوية وحكم شديد يتنافى مع الآتي :

الأول: أن أهل القبلة عموماً يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله بخلاف أهل الجاهلية .

الثاني: أن الذين وقع منهم ماتعدونه شركاً كما سماه القرآن من الجاهلية كذلك وقع منهم عن جهل لو علموا أنه شرك لم يعملوه قط لنفرة كل مسلم من ذلك .

الثالث: أن أهل الجاهلية معترفون بآلهة مع الله يعبدونها وهؤلاء الذين تعدونهم كالجاهلية لا يقرون أن مع الله آلهة قط وذكر عمومات لهم فيها شبهة سنأتي بعد الكلام على ما قبلها .

جوابنا :

أولا: أننا ما سوينا بين الفريقين من كل وجه كما سيمر بك ، وإنما حكمنا بحكم الله عليهم فيما ماثلوهم فيه كما دلت عليه الآيات والأحاديث التي ينطبق حكمها عليهم ، ومن ظن أننا حكمنا عليهم بحكمنا على المشركين من كل وجه كذبه الواقع ، وهو أكبر دليل على خطأ من اتهمنا بذلك إذ حكم قبل أن يفهم مرادنا بدعاية الجهال وخالف القرآن القائل: «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » فهذا الاعتراض لا يصدر إلا عمن جهل ما نحن عليه ، فان جميع أهل القبلة ومنهم الذين حكم الله عليهم بما سماه الله شركاً بالله ومثلنا به يتمتعون بما يتمتع به جميع المسلمين من الحقوق الاسلامية بيننا بلا فرق، ومنها دخول المسجد الحرام الذي أجمع أهل القبلة على منع المشركين والمكذبين بالدين من دخوله بصريح القرآن ، وأهل الاسلام أجمع يستحلون دماء وأموال وأعراض أهل الجاهلية المكذبين لله ورسوله أو أحد الرسل إلى يوم القيامة ، ونحن وإياهم لا نستحل شيئا بحكمنا عليهم بالشرك فقد انتفت التسوية عنا والحكم الشديد منا كما توهم المعترض بل نحكم لهم في كل مكان بالحقوق الاسلامية كسائر المسلمين مثل الزواج منهم وإليهم ، والصلاة خلفهم ما يعلنوا بالشرك بالله فيما سماه شركاً كالتعلق بالولي والأوهام يستفزوننا بدعاء غير الله ، والصلاة على جنائزهم واتباعها وإعطائهم الزكاة ، وجميع المعاملات الخاصة بالمسلمين لشهادتهم ألا إله إلا الله وأن محمداً

رسول الله إذ هم يقولونها كما نقولهـا ويؤمنون بالقرآن جملة مثلنا لقول النبي ﷺ « من استقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فله مالنا وعليه ما علينا » وقولنا في هذا هو قول أهل السنة والحديث ، وكتب الجميـع تحكي هذا ولا خلاف بينهم فيه .

ثانياً: أننا اعتبرناهم مثل أهل الجاهلية لأعمالهم ،ومنها الشرك لتماثلهم وتشابههم بذلك لشهادة القرآن كما سماها الله،فالشرك يطلق على كل من وقع منه لا فرق بين أن يقع من مسلم وجاهل ، كما أن الخمر إذا شربهـا المشرك أو المسلم هي خمر لدخولها تحت الآيات والحديث المحرم لها وواقـع الحال يشهد بأنهم مثلهم في ذلك والعقائد تابعة لها إذ هي دليل على مافي القلوب مالم يكره صاحبها عليهاوهم إخواننا بما معهم من الاسلام كما قال الله تعالى « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين » وإذ لم يفهموا التوبة الـتي عنتها الآية وبقوا متعلقين على من لا ينفع ولا يضر تعين علينا أن نحكم بحكم القرآن فيهم كما أمر الله بهذا حتى يتحولوا عنها إذ هي باجماع أهل الاسلام ليست منه،وقد حرمها على أهله وكلهم لايخالف في ذلك ، وإن لم يسمها بعضهم شركاً تورعاً أو لشبهة عنده كما سميناهـا لأن القرآن وسمها بذلك .

ثالثاً : أن الله أمرنا بانكار كل ما خالف الاسلام صريحاً كما نطلق عليه ما أسماه بـه القرآن ولو شركاً أو كفراً من عملهم ولو كره الناس لتصريحه بالنهي عنـه وتحريمه في غير آية وحديث ، ولئلايتعدى المسلمين البريئين منه وأنتم وغيركم مقرون أن ما عمله ويعمله كثير من المسلمين اليوم لغيراللهمنالأولياء والمشايخ والدجالين والسحرة ليسمن الاسلام

قط ، وكذلك التفرق في الدين وهذه وظيفة الداعي إلى الاسلام لا بد أن ينكر ما أوجب الله إنكاره وإن عيب عليه وسب ، وقد اشتهر ما تقول أنت وغيرك على ألسنة جمهور المسلمين ولقبوا من خالفهم داعيا إلى توحيد الله بألقاب زادت الشقة خلافاً ، ودخلت فيها السياسية واستغلها الحاكم الذي لا يبالي بما ضاع من الدين ، أو كان جاهلاً ما دام ملكه باقياً له حتى خفي الحق على الناس وانتشرت هذه الدعاية في كل بلد دخله الاسلام، ونفر المسلمون فيه ممن خالف ما هم عليه ، وظنوا أن من دعا إلى الحق الذي جاء به القرآن مخالف للاسلام والمسلمين وإن جاء بدين جديد ، فالواجب على أهل العلم التثبت كما أوصى الله في الآية المتقدمة والعمل على جمع كلمة المسلمين،وإزالة ما علق بأذهان الكثير منهم،والدعوة إلى القرآن ومتابعة النبي ﷺ والسنة والرجوع عند الاختلاف إليهما قال الله: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » إلى غيرها هذا ما يرد به على النقطة الأولى للمعترض ، وأما أن الذين وقع منهم ذلك فعن جهل إلى آخره ، فيقال أولاً الجهل ليس بعذر باجماع المسلمين متى بين للجاهل خطأه وأبى أن يرجع عنه وإنما يعذر به قبل البيان ، والذين حكمنا عليهم بحكم الله أنهم وقعوا في الشرك لاشتراكهم مع المشركين في مسماه بصريح القرآن كما تظاهرت به الأدلة واشتهر تحريمه عند الخاصة والعامة من المسلمين وإن لم يطلق على من وقع فيه بعض الناس شركاً جهلاً منه أو تورعاً مقر أنه من أعمال الجاهلية التي نعاها الله عليها وعده منها وثنية ، وقد قدم وفد المشركين يوم الحديبية على النبي ﷺ والمسلمين لعقد الصلح معه على وضع الحرب بينهم ، فلما كتبوا قال رسول الله ﷺ: « هذا ما قضى عليه رسول الله »

فقالوا : لا تكتب رسول الله ،فوالله لو نعلم أنك رسول الله ما كذبناك ولا صددناك عن البيت،فقال:« والله إني لرسول الله وإن كذبتموني وصددتموني» فلما رأى رسول الله أنهم لا يرضون بذلك ، كتب هذا ما قضى عليه محمد ابن عبد الله ، وهذا مجمع عليه بين أهل السير صحيح صريح .

فهؤلاء الذين أبوا أعماهم التقليد والعصبية التي ألفوها ولقنهم بها أكابرهم من المشركين ، كما أعمى فريق المسلمن الجاهليين ما نشأوا عليه ولقنهم به علماؤهم ودخلت فيه السياسة الحاكمة وقد علم من سيرة العلماء أنهم ما داموا حكوميين فهم على ما تراه الحكومة رغبة أو رهبة بالقول أو السكوت إلا النادر منهم ، وهذا أكبر الفوارق للجمهور عن اتباع الحق بل إذا تقصينا سيرة الأنبياء والداعين إلى الله نرى أن المكذبين لهم والواقفين في وجه الحق كذبوا الرسل باجتهادهم ، وهذا يكفي لرد عذر المعترض المدافع عمن وقع في الشرك حيث لم يعذر الله الكفار بذلك فقومنا أولى بألا يعذروا لأن القرآن بين أيديهم وهم مصدقون به ، ومع هذا لم يرجعوا إليه،وقد روي أن طائفة من الصحابة شربوا الخمر متأولين في حلها لهم قول الله تعالى : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا » الآية ، فتشاور أصحاب النبي ﷺ فيهم فقالوا لعمر ادعهم إلى التوبة فان تابوا فاعذرهم وإلا فاقتلهم فتابوا ، والذين تعلقوا على من لا ينفع ولا يضر إنما حكمنا عليهم بحكم القرآن بعد أن بلغتهم الدعوة وحرمة ما حرمه الاسلام عليهم ، ولم نحكم عليهم بالقتل ولا حكم المكذب للرسول ، والقرآن لما ذكرنا من التأويل الذي تعلقوا عليه والشبهة .

وأما اعتراف الجاهلية بالآلهة مع الله كما يعبدونها فلا يمنع من إطلاق

الشرك على من وقع فيه بعبادته الأولياء والاوهام كقومنـا الملتمس لهم العذر بشهادة ألا إلا إلا الله وأن محمـــداً رسول الله لأن العرب الذين كذبوا بذلك يفهمون بلغتهم معنى الاله كما يعتقدون أنه الذي له قوة غيبية لا تدركها الحواس تنفع وتضر حقيقة كالخالق أو وهما كسائر آلهتهم التي خلعوا عليها بعض صفاته وما يعملونه لهـا من أنواع العبادة على اختلافهم فيها دليل منهم على ولائهم وطلب الزلفى لديهم لنيـل ما عندهم ، قال الله تعالى عن قوم هود : « إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنـا بسوء » وقال ابراهيم رداً على قومه إذ هددوه بشر آلهتهم : « ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون » وقال عن قوم محمـــد إذ أخافوه بها « أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه » وأهـل جاهلية الاسلام ينادون أولياءهم إذا اشتد عليهم الكرب ويستغيثون بهم لدفعه ، كما يهدد بعضهم أعداءه بها وقوتها الغيبية ويحلف بها ولا يرضى أن يكذب في حلفه ، كما يكذب في حلفه بالله ولا يبـــالي ، ويجود بالمال لخدمتها ومن يقوم عليها ويعكف عندها ، وقد يعصى الله إذا جاء موعد ميلادها ولم يكن عنده ما يعمله لها فيه ، وإذا نالته نعمة بعد دعائه إياها وزيارتها نسبها إليها ، وإذا أصابته نقمة وقـــد فرط فيما اعتاده أن يعمله الأولياء والمشائخ اعتقد أنها ما أصابته إلا لغضب الولي أو الشيخ عليه ولا يضيف ذلك إلى الله ، وقد أخبر الله عن الجاهلية المكذبين بالرسول ودينه أنهم يخلصون لله العبادة والسؤال إذا ركبوا في الفلك وأحاط بهم الغرق كما

قال : « هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين » فهذه شهادة أكبر الشهداء عليهم بالاخلاص له بخلاف قومنا الجاهلين وقد ركب منهم طائفة سفينة لاحياء مولد شيخ اسمه العجمي في جزيرة ميناء اسكندرية فلما توسطوا البحر هاجت الريح واشتد عليهم الموج ، فأخذوا يتصايحون منها يا عجمي يا عجمي ولم يلتفتوا في هذه الحال إلى الله وهم يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله كما التفت المشركون إليه معرضين عن جميع آلهتهم ، وهذا مشهور بين أهل اسكندرية لا يكذب به أحد منهم إذ غرق منهم من غرق ونجا من نجا من بقي له عمر ، بل ذكر حافظ ابراهيم شاعرهم قصتهم يتوجع فيها من سوء تصرف أغنيائهم وحرمانهم الفقراء ما أوجب الله لهم عليهم ، ومنها أحياؤنا لا يرزقون بدرهم وبألف ألف ترزق الأموات للسيد البدوي وقف ريعه مئات ألف والحظوظ هبات وغيره ممن لايحصى عددهم في كل بلد دخلها الاسلام ، كعبد القادر الجيلاني والتيجاني والمرغني والحكمي ومحي الدين بن عربي وعبد السلام الأسمر وغيرهم فهذه آلهة الكثير منهم لايخفى على المسلمين وهذا أمر مشهور عندهم في هذه البلاد وغيرها لاينكر ولا شك فيه .

وليس بغريب أن يدخل الشرك على من يقول لا إله إلا الله ويدين بدين سماوي كالمسلمين إذ يعبدون مع الله غيره ، وهم يظنون أنهم ماأشركوا بالله فقد عبد بنو اسرائيل العجل في حياة موسى بالعكوف عليه وقالوا هذا إلهكم وإله موسى وهم يشهدون ألا إله الا الله وأن موسى وهارون

رسولا الله ، كما اتبعوهما باختيارهم وأن الدين الذي دعاهم إليه رسولهم حق ، فلو تحادوا على العكوف عليه بعد نهي موسى لهم لم تنفعهم لا إله إلا الله بل لو عبده بالعكوف عليه أحد بعد وفاة موسى وهارون وهو يقول لا إله إلا الله صباحاً ومساء ألف مرة لكان مشركا،وهذا العكوف من المسلمين عند كل شيخ وولي وهم يقولون لا إله إلا الله كبني اسرائيل وهو محرم على الجميع بصريح القرآن ، وهم يحسبون أن هذا يجوز مع إيمانهم بالله ورسله بل عموم أهل الكتاب الذين أخبر الله عنهم أنهم وقعوا في الشرك وقالوا عزير بن الله والمسيح ابن الله واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله يشهدون بما شهد به أسلافهم لرسلهم ولدينهم أنه حق ، ودخل عليهم من الشرك والكفر ما ذكره عنهم ، وعندهم التوراة والانجيل .

وكانت الأنبياء تسوسهم كلما هلك نبي خلفه أخر كما أخبر بذلك محمد ﷺ عنهم،وهكذا كل أمة بدلت وغيرت بعدأن كانوا على التوحيد هم كقومنا الذين دخل عليهم تأليه الأشخاص الاحياء الأموات من حكام وملوك وسحرة ومنجمين وأوهام من جن وإنس وجماد وغيره ، واذكر قول الله في حكمه على عموم المكلفين « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » ولذا قلنا إن الرسل لاتبعث إلا بعد إفساد الناس بالكفر والشرك في الأرض وعبادة الطواغيت والظلم والبغي ، فلا تستبعد ماذكرنا وطبقنا على كثير من قائلي لا إله إلا الله أن يدخل عليهم الشرك وهم يحسبون أنهم على التوحيد ، فعليك أن توفي هذا الموضع حقه من تدبر القرآن كما تستعرض أعمال الناس عليه ، وتستعين على فهم ذلك بالله ثم

بواقع الحياة من سنته في البشر ، فكل أولئك الذين خرجوا على الديانة السماوية بعد أن كان أسلافهم عليها يشهدون لله بالوحدانيـــة ولرسلهم بالرسالة بعد أن دخل عليهم دين الجاهلية،وكتبهم بين أيديهم تنهاهم عنه ما عدا العرب إذ لم يكن لهم كتاب سماوي ، وبالأخص الذين بعث فيهم محمد كما قال عز وجل : « وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنـا إليهم قبلك من نذير » .

أقوى شبهة من يعتذر عن جاهلية المسلمين

قال المعترض علينا ومن شايعه على قوله معتذراً عن شرك من تعلق على الأولياء وغيرهم وأما العمومات ... إلخ التي وعدنا بذكرها .

فمنها ما رواه عبادة بن الصامت قال: قال رسول لله ﷺ : «بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً»،وذكر أنواعاً من المحرمات في منعهم منها الشرك ثم قال لهم: «فمن وفى منكم فأجره على الله،ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له وطهور،ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فهو الى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه فبايعناه على ذلك » والشاهد من هذا الحديث أنه ذكر الشرك الذي أخذ منهم البيعة على تركه ، قول هذا على أن من وقع منه شيء مما بايعهم عليه كالشرك بالله داخل تحت قول الله : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ولو شركـا لا يمانهم بالله ورسوله وما جاء به من ربه ومنها .

ماروواه أنس قال قال رسول الله ﷺ : « ما من عبد يشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرم الله عليه النار ، قال معاذ يارسول الله

أفلا أخبر بها النـــــاس فيستبشروا ، قال : إذن يتكلوا فأخبر بها معاذ عند موته تأثما» ـ خوفاً من الاثم ـ .

ومنها ما رواه عتبان بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : «إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله » وكلهم يقولها يبتغي بها وجه الله ما لم يكره عليها قائلها كالمنافق وقد أعطى النبي جوامع الكلم والبيان الكافي للتعبير عن مراده ، كما علم أن الأمة سيدخل منها العجمي والعربي وغيرهم وسيقولها من لا يفهـم معناها ، وقد يتكل عليها بعض الناس كما في حـديث أنس ، وهذا واضح كما يدخل مع هـذه الأحاديث ما دخل في معناها من قرآن وحديث عن النبي ﷺ انتهى كلام المعترض.

هذه الجملة أقوى مالهم وما يحتج به من يسوي بين الذنوب في جواز مغفرتها لمن عنت أصل الايمان بالله ورسوله وكتابه سواء منها الكفر والشرك الذي وقع فيـه أهل جاهلية الاسلام لدخولهم في عموم من قال الله فيهم: « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليه المصير . لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين» وثبت في «صحيح مسلم» عن ابن عباس وأبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « قال الله نعم قد فعلت » يعني أجبت دعاء المؤمنين الذي اشتملت عليه هذه الآيات، وهذا صحيح لو كان الشرك والكفر وقع منهم كسائر الذنوب التي أقدموا عليها تدخل تحت المشيئة لله

في جواز مغفرتها لمن لم يشرك بالله ولم يكفر به ، أو تعذيب أهلها عليها ، والذي وقع من أهل جاهلية المسلمين منها يتقربون به إلى غير الله كما تقدم، كما يتقرب المؤمن بالله إليه بأنواع العبادة وهذا فرق بين الذنوب التي يعملها سائر الأمة وهو يعتقد حرمتها عليه كالزنا والربا والسرقة وشرب الخمر واللواط وأكل أموال الناس بالباطل ، وسفك الدماء بتأويل وغير تأويل ، والفرار من الزحف ، وقذف المحصنات ، وغير هذا مما يفعله المؤمن ، وبين ما وقع فيه بعض المسلمين من أنواع الشرك بالله والكفر المحبط للعمل لأن المسلم لا يتعبد لله بالمعاصي بخلافها الذين ماثلوا المشركين في شركهم بالله وحاربوا الرسل وكذبوهم ، وأهل جاهلية الاسلام وإن لم يكذبوا الرسول ولم يحاربوه فقد شاركوهم في أصل الشرك بالله كشرك من أشرك من النصارى واليهود قبل بعثة محمد ﷺ وهم يشهدون ألا إله إلا الله وأن موسى رسول الله وأن التوراة حق ، وإن لم نحكم على قومنا بحكمنا في المكذبين لله ورسوله لشبهة بتأويل لهم كما قدم .

ومنها هذه الأحاديث التي ذكرت في هذه الجملة، وهذا فرق واضح لا يلتبس على من نظر في أعمال الفريقين ووازن بين الاعتقادين ، فكيف إذا كان الله قد أخبر أنه لا يغفر أن يشرك به،وأن الشرك محبط للأعمال كالكفر وأن صاحبه قد جعل لله أنداداً في العبادة يطلب منهم مالا يجوز طلبه إلا من الله ، وأنهم لا يملكون ما أمل فيهم وعندهم كما أنه يعبدهم بذلك ويصرف إليهم بعض حق الله من أنواع العبادات التي لله عليه وكلفه أن يعملها له خالقه قال تعالى : « ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا

ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشركم » وقال تعالى: « إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم » وقومنا الذين يدعون غير الله معه داخلون تحت هاتين الآيتين وغيرهما من غير شك ومماثلون لهم في أعمال الجاهلية قال الله تعالى: « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً » .

وقال لنبيه ﷺ : « ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين . بل الله فاعبد وكن من الشاكرين » وهذا خطاب من الله لسائر الأمم في أشخاص أنبيائهم كما ترى، وقال بعد أن ذكر طائفة من الأنبياء وأتباعهم مثنياً عليهم بهدايته لهم وأعمالهم الصالحة: « ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون » ولم يستثن الله من آمن منهم به ورسوله ممن لم يؤمن به ورسوله لأن الشرك كله حرام صغيره وكبيره من كل أحد كما قال تعالى: « قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » بخلاف سائر الذنوب المغايرة له فان الناس يرتكبونها بداعي الشهوة الطبيعي ، وكذلك الكفر المحبط للايمان لا يرتكبه أحد إلا بعد أن يؤوله واضعه سواء الذي وضعه له هواه، أو غيره فاذا آثره على دين الله وشرعه علم أنه يكبر واضعه وشارعه على الله وشرعه ، ولذا قال الله بعد أن ذكر جملة من العهود والوصايا والأوامر والمحرمات والحلال من المأكل والمناكح وجملة الذي في سورة المائدة «ومن يكفر بالايمان » يعني بشيء مما ذكر جحده أو أنكره ولو مجتهدا فأحل وحرم «فقد حبط عمله»

وهو في الآخرة من الخاسرين » وقد أدخل بعض أهل العلم أمهات البدع التي لاشبهة للقائل بها في الدين ولا تأويل عنده يسوغها يعذر بها في الشرك التشريعي مستدلا على ذلك بقوله تعالى : « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله » إذ شارك الله في طلب العمل من العباد بما وضع لهم .

فان قيل : اجعلوا ماوقع من المسلمين من شرك وكفر من الكفر والشرك الأصغر لأن المسلمين الذين عندهم أصل الايمان كما تقدم يتحيزون عن المشركين المكذبين بأصل الدين . قيل : هذا لا يجوز لنا أن ندعيه على الله بلا علم أنه يغفر بعض الشرك دون بعض بلا دليل منه ، كما أن الذي عمله بعض المسلمين للأولياء والصالحين والأوهام من تلك العبادات، ومنها تقريب القرابين والخوف منهم والرجاء فيهم متى عملوا لهم ذلك أو أخلوا بما كانوا يعملون لهم من قبيل الشرك المحرم بالقرآن بلا ريب .

وقد جوز بعض الناس غفران يسير الرياء لعموم البلوى به ورد عليه بما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « أول الناس تسعر لهم النار ثلاثة : رجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، ورجل قاتل في المعركة حتى قتل، ورجل آتاه الله من أصناف المال كله ، فأوتي بهم يوم القيامة فعرفهم الله نعمه عليهم ،فأقروا له بها ، قال : فما عملتم فيها ، قال الذي قرأ القرآن وتعلم العلم : فعلت ذلك لك،قال الله : كذبت ، بل فعلت ذلك ليقال هو قارىء وعالم وقد قيل.وقال الذي قتل : استشهدت في سبيلك ، قال الله : بل فعلت ذلك ليقال لك إنك جريء ، وقد قيل.

وقال للذي أنفق مما أعطاه الله من جميع أصناف المال ماذا فعلت قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها لك إلا أنفقت فيها ، قال الله : كذبت ولكنك فعلت ذلك ليقال جواد » رواه مسلم فهؤلاء كما ترى مراؤون فلم يغفر الله رياءهم . فان قيل خص أن الله لا يغفر أن يشرك به بالمكذبين بالدين المشركين والأحاديث المذكورة وما في معناها بعموم أهل الاسلام ، وحينئذ نكون قد أخذنا بالآية والأحاديث معاً قيل يلزم منه أن تكون جميع ذنوب الكفار المشركين ما عدا الشرك متعلقة على مشيئة الله في جواز مغفرتها لهم وتعذيبهم عليها ، والاسلام يأبى ذلك كما قال الله عز وجل : « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض» «أم نجعل المتقين كالفجار» وقوله تعالى : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين » وهذا إنكار شديد من الله على من سوى بين المؤمنين العاملين الصالحين المتقين والمفسدين في الأرض بالكفر والشرك وغيره بالمتقين الأبرار الأخيار في شيء من الصفات ، كما أنكر أن يجعل المسلمون كالمجرمين الأشرار ، وبعد فان الآية في قوتها لا تساويها الأحاديث ، كما أنها تنص في عمومها ودخول كل شرك تحتها من المسلمين وغيرهم ، وإذا رجحنا الأحاديث عليها وقيدنا الشرك فيها بالكفار ألغيناها كما نلغي من نص الله على عذابه في النار كالعائد لأكل الربا وأموال الناس بالباطل وقاتلهم بغير حق ، كما يلغي الوعيد في هذه الآيات وما ماثلها ، والاسلام يأبى ذلك كما دلت عليه الأحاديث عن النبي عليه الصلاة والسلام المنقولة نقل التواتر ، ومن كان عنده دليل يعارض ما ذكرنا فعليه أن يورده ، ونحن نتقبل الحق ممن جاء به

ولم يبق إلا أن يقال كل من قال لا إله إلا الله دخل تحت المشيئة حتى إبليس فانه مقر بذلك ، ولهذا طلب من ربه النظرة إلى يوم القيامة ، وهذا المذهب يكذب القرآن .

أمنية ردها الدليل

كنت أتمنى أن أجد دليلاً أعذر به عند الله يدخل به من شاركنا في الايمان بالله ورسوله في كتابه فيمن علقوا على مشيئة الله في غفران ذنوبهم أو العذاب عليها كسائر المذنبين بغير الكفر المحبط للأعمال والشرك الذي مر ذكره قبل رحمته بهم وحدباً عليهم أعني من وقع منه أحد الأمرين أو كلاهما بتعلقه على الأولياء لما أرى من كثير من الذين فيهم الكلام وعندهم أصل الايمان وقد خلطوا معه أعمـــالاً سيئة وحسنة لله وغيره من جد واجتهاد في الأعمال الصالحة ، كما يتكبدون المشاق فيما فرض الله عليهم كالحج والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس والنفيس والصبر على ذلك بجلد وقوة ، كما أود لما أشعر به لهم من عاطفة وأخوية أن يدخلهم الله الجنة ويجيرهم من النار ، كما أدخل أقواماً جنة بلا عمـــل عملوه ولا خير قدموه ، ولما يداخلني أحيـــاناً إذا تلوت : « ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبـــائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئـــك هم

المفلحون » لما أعلم من أعمالهم التي تدخل تحت هذه الآيات فيمنعني من هذه العاطفة ومتابعتها قوله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً » فأقف عند الوارد وأدع الأماني وعواطف الرحمة الانسانية التي تعترض في طريق القرآن، إذ أعلم أنه لا يسع المؤمن إلا متابعة الدليل والحق الصريح والرضا بما يرضاه الله ما استطاع ، والله أرحم بعباده من الوالدة بولدها ، فاجعل الحق حاكماً علي وعلى غيري وأنتهي عن الأماني . والله أسأل أن يغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان .

عذاب الاخرة يخص بخلاف عذاب الدنيا قد
علم هذا من الواقع وبصريح القرآن والسنة والفطرة

هذا وإن عذاب الآخرة لايقع إلا على من بلغه الحق ولم يكن عنده موانع عن العمل به فرده أو فرط فيه بعد بلوغه اليه مستحقاً بأمر الله كما قال تعالى : « وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » وقال تعالى : « هذا بلاغ للناس ولينذروا به » وقال تعالى : « ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع أياتك من قبل أن نذل ونخزى » وقال تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » وفي «صحيح مسلم » عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لايسمع بي يهودي ولا نصراني من هذه الأمة ثم لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » والعقاب واللوم والعذاب إنما يكون بعد بلوغ الحجة وانزياع الموانع ومعرفة مايدعى اليه الانسان

بلغته سواء اقتنع عقله بذلك أم لا ، والله لا يكلف نفساً إلا وسعها ، وقال تعالى : « فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم » ومن لم يبلغه الحق أو بلغه وعنده موانع عن القيام به فلم تقم عليه الحجة ولا كان في وسعه العمل بما لم يصله أو وصله ولم يعرفه لمانع فلا يدخل تحت ماذكرت إلا من لا عذر له عند الله .

وقد علم تفاوت الناس في بلوغ الحجة والحق اليهم ، ولا خلاف أنه يلزم الرجال أمور لاتجب على النساء ، كما على أهل العلم وولاة الأمور ما لايقوى عليه العامة لاستعدادهم وما أنيط بهم ؟ وفهمهم ، وهذا معلوم من الدين بالضرورة والعقل كما نبه الله عليه في الآية السابقة ، وقال تعالى : « إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء » وقال تعالى : «إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً . إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً » فدخل تحت هذة الآية جميع أنواع الظلم ، وكل من عجز عن الحيلة في ترك الباطل ، ولم يصل بأي حيلة يقدر عليها للعمل بالحق الذي أمر به ، كما فقد كل اهتداء إلى سبيل الله الذي دعى إلى سلوكه ، ولم يكن لديه من القوة مايؤهله للقيام بما كلف به ولا التحول عما حرم عليه ، وهذا من عدل الله ورحمته بعباده إذ لا يعذبهم إلا بذنوبهم ، ويرحم من يشاء بفضله وكرمه ، وأما الدنيا فيعم العذاب من في طريقه متى أنزله ، كما قال تعالى « واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم

خاصة » وقد يعم الخير فيها عموم العباد كما قال تعالى : « ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً » وقال النبي ﷺ : « إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من فيهم ثم بعثوا على نياتهم » رواه البخاري عن ابن عمر .

أثر الوفاق والاجتماع في المعتقد والأعمال في الامة كما لمست ثمراته

إليك طائفة من آي الكتاب وحديث الرسول تدل على فضل الاجتماع في الدنيا والآخرة ، كما فيها النهي عن الافتراق وشر عواقبه لتدعو الى ما دعا الله إليه وتنهى عما نهى عنه قال تعالى : « اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون » وقال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه » وقال تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تتفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » وقال تعالى : « وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين » وقال تعالى : « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم، باذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ماتحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم » .

وقال تعالى : «قل يا أيها الناس أني رسول الله اليكم جميعا .. إلى...فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » يؤكد هذا ويفصله مارواه أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ:« إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئـاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأن توالوا من ولاه الله أمر دينكم » رواه مسلم.وعن أبي موسى أن رسول الله ﷺ بعثه ومعاذا إلى اليمن فقال:« يسرا ولا تعسرا ، وبشيرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا ».وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ «سووا صفوفكم فان تسويـــة الصف من تمام الصلاة » ثم خرج يوماً فرأى رجلاً باديا صدره من الصف فأقبل على الناس فقال: « عباد الله لتسون صفوفـكم أو ايخالفن الله بين وجوهكم ».وقال ﷺ :« لاتختلفوا فتختلف قلوبكم » وقال ﷺ :«إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه »رواهن البخـاري .

لاخلاف بين اثنين من المسلمين بل وغيرهمأن الوفاق محمود العواقب مجلبة للمحبة والخير والهناء في الدنيا والآخرة ، وأن جمـع الصفوف في الاعتقادوالأعمال من أسباب العزة والتصرف والنصر بما يضمن السلامة والغنيمة للمجتمعين لامراء في هذا بين أحد فـكيف إذا كان الله قد دعا اليه في غير آية كما مر وحديث عن النبي ، وليست ثمراته في كل أمـــة وبالأخص في المسلمين إذ كانوا مجتمعين في جميع مادعا الله إلى الاجتماع عليه في العقيدة به ، والأعمال في السلم والحرب كماأمر بالتـكتل أمامالعدو لقتاله والظهور بمظهر التآ لف والمحبة والالفة بين الأمة في جميـع حالهم

الظاهري والباطني إذ يدل على جمع الصفوف ويشعر بالقوة ويرهب العدو كما أن الافتراق الظاهري في مواضع الاجتماع والوئام يطمع العـــدو في المتفرقين والمختلفين ، ويدل على تنافر قلوبهم وكراهية بعضهم بعضا ، وما غلبت كثرة استندت على الله إلا بعد تفرقها وشتاتها واختلافها كما ذكر في غزوة أحد .

التفرق وعواقبه الوخيمة وأثر التصوف
وما جر على الامة من الفرقة

هاك جملة أخبر الله فيها عن فساد الافتراق والخلاف ،ومـــا جر التصوف والطرق على الأمة من الشر والذلة والوهن والدمار حتى قيل إن الاستعمار مادخل على المسلمين إلا بطريقهم وعلى أيـديهم كالاستعـمار الفرنسي وغيره ، وفي الآيات الآتية زاجر عن التفرق وداع إلى الوئـام والاجتماع ، فعليك بالدعوة إلى مادعا الله اليه والعمل على تضييق شقـة الخلاف ، قال الله تعالى : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفـوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » وقال تعالى :« إن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد » وقال تعـالى : « وما كان النـاس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون » وقال تعالى:« إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » وقال تعالى : « ولا تكونوا من المشركين.من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون » وقال :« يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانـة من دونكم

لا يألونكم خبالاً ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم ومـا تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون » وقال تعالى : « ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً » وقال تعالى : « وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله » وقال تعالى : ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشـد تثبيتاً. وإذاً لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً . ولهديناهم صراطاً مستقيماً» .

وفيماقبل هذا البيان بيان فضل الاجتماع وبركاته على الأمة ، إذ ذكر الله ورسوله جملة من أخذ بها أدرك ماتضمنته من العزة والخير العميم على المجتمعين كما في الباب بعده عدة آيات نوه الله فيها بشر التفرق وعواقبه السيئة فجدير بأهل العلم أن يعملوا على جمع الكلمـــة ويسعوا جهدهم لتضييق شقة الخلاف وبيان شره للأمة إذما أصاب المسلمين وضيع سلطانهم إلا اختلافهم وتفرقهم في البواطن والظواهر والأعمال ، ومتى صار هذا في أمة تمكن العدو من قتلها والاستيلاء على ملكها واندغامها تحت سلطانه، فأذلها وأخذ مافي أيديها واستعبدها .

وأول خلاف جرى بين المسلمين على الرئاسة ، ثم دخل العدو فيهم ودس الخلاف في الاعتقاد ، وهذا هـو العرق الحساس متى لمس أوجع ودب بين العلماء داء الأمم مثلهم البغي والحسد ، فاستغل بعض الحـكام غرقهم واستنجد لهم على منازعيه ، ولم يكتف بهذا حتى استعان بالكفار على أهل ملته عندما خاف الغلب فطرد الكافر الفريقين عما تنازعا عليه كما جرى لأمراء الأندلس ، وفي هـذا عبرة للعرب فلم يعتبروا إذ مازلوا

على هذا الحال حتى الآن ، وما كارثة اليهود عنا ببعيدة ، وقد تنادى على قتالهم العرب باسم العروبة لا الاسلام لأنهم على غيره ، كما لم ينصح به بعضهم بعضا في مؤتمراتهم العديدة ولا غيرها ، وإن تقنعوا به أمام رعاياهم وقد هزمهم مع كثرتهم اليهود شر هزيمة ، وهذه عاقبة التفرق كما استند القائد الأحمق الأهوج في طرد الاستعمار واليهود على عدو الدين السماوي بعد أن جعل مصر رهينة له فغدر به فلم يأخذ من ذلك عظة ، وما زال ألعوبة في يده ، وكان يعلن بما عنده من المعدات لهزيمة الفريقين الاستعمار واليهود ، كما يزعم أن سيلقيهم في البحر ينادي بذلك على رؤوس الأشهاد ، وقد أعجب بما لديه من قوة ففضح العرب جميعا بفخره الكاذب ، وكان يدعى قبل دخوله حرب اليمن أنه قادر على الاستيلاء على جميع الدويلات العربية في شهرين ، وينادي بهذا باذاعته وقد عجز عن أصغر دويلة فيهم ومازال يقاتلها منذ خمس سنين ونصف ولا يستحي من ذلك ، وقد قال المتنبي على أمثاله :

من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميت إيلام

كما يصدق عليه بتبجحه وإعلانه الذي جر عليه الهزيمة وسود وجوه العرب قول شاعرهم :

تنق بلا شيء وشيوخ محارب   وقد خلتها كانت تريش ولا تبري
ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت   فدل عليها صوتها حية البحر

وكان النبي ﷺ يوري في جميع غزواته ولا يخبر بها أصحابه، وهذا يخبر عدوه فهل في الدنيا أسخف عقلا من عقله . والعجب من المصريين

كيف يرضون بـه رئيساً وقد لمسوا فضائحه لهم وما جر إليهم في دنياهم وضيع من دينهم وأخلاقهم .

وقد نشأ عن تفرق المسلمين على طلب الخلافة مذهب يقال له مذهب الصوفية ، وجعلوا أساسه والميزان لقبوله أذواقهم ومواجيدهم وبهـذا اخترعوا لعامة المسلمين ديناً جديداً ليتعبدوا به فمن لم يقبل ذلك منهم قالوا له: لا تعرف الذوق والوجدان ولست من أهل طريقنا، ومذهبنا لا يعرفه الا أهل الذوق، وهذا المذهب لا يعرف له أصل عن النبي ﷺ ولا صحبه ولا التابعين ، وإنما يلصقونه بالحسن البصري إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالأكاذيب عليهما ، ولو كان هـــذا حقاً لسبق إليه النبي ﷺ وأصحابه وكان له أصل في الشريعة وقد اتسعت الشقة حتى ظن بعض عامة المسلمين أنه من الاسلام ونشأت الطرق منه فزادت على أربعين طريقة في بعض البلاد ، ومن لم يكن من أهل هذا المذهب لا يقام له وزن عند الجمهور ولا يصل إلى المراتب التي في أيدي السلاطين حتى حمل الكثير على أن يبتدع لنفسه طريقة ويدعو إليها . ومن أوسع هذه الطرق التجانية وتفرع عنها فروع انتشرت في إفريقيا ومن لم يدخل فيها عد ناقص الدين، ومنها الطريقة المرغنية وبلغني أنه يأتي بالمريض إلى رئيسها ومن به مس الجن والمصاب بأي نوع من السقم، فيلمسه ويقول له قم فقد زال ما بك، ويصدق في ذلك أكثر مما يصدق بني خوفاً منه ورجاءً فيما زعم زال ما بالمصاب أو لم يزل ، ومن الطرق التي عمت كل بلد دخله الاسلام القـادرية المنسوبة لعبدالقادر الجيلاني وقد بنى عليه في كل بلدة عدة قبور يعبد مع الله ، ولا يستحون من عدد القبور للرجل الواحد ، ويوقف عليه مالا يحصى من

الأموال الطائلة ، وما يلحق بهـذه أوراد وأذكار كيفيات لاقامتها حينما يقومون بالوظائف التي فرضها عليهم رئيس الطريقة،وهذا معلوم من كتبهم وهيئاتهم المشاهدة ، ومن أعجب العجب أن كل طريقة تدعي أن الحق معها وأنهـا التي عليها النبي ﷺ وصحبه،ومن أغرب ماترى أن تفرض الشاذلية على مريديها وأتباعها أن يبدأ أول الذكر بتصور الشيخ أمامهم ماثلاً شخصه حين يبدؤون بالذكر ، ثم ينتقل المتصور له الى تصور النبي ثم ينتقل بعده إلى تصور الله أمامه،ولاأدري كيف يتصورون الله في أي صورة ولم يروه ، ويعدون هذا هو الأدب الروحي،وترى النقشبندية إذا مر عليهم ذكر النبي ﷺ وهم قاعدون في أوكارهم يأمرون بالقيام له وإذا مر ذكر الله لايقومون له كأنه أعظم عندهم من الله وهذا عين التأليه والعبادة لغير الله ، هـذه أصول الخير والشر متى استحضرتها وفهمتهـــا هديت للحق كما تكفى الشر ونتائجه .

وإليك طرفا من آي الذكر ومايروى عن النبي ﷺ شارحاً لك ومبينا القواعد التي يرد ما بهم واشتبه إليها من المجمل قرآنا أوسنة كما من خرج عنها هلك ، قال الله تعالى لنبيه:« قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني »والاشارة راجعة إلى القرآن وما عليه النبي ﷺ وصحبه ومن اتبعهم باحسان من العمل والاعتقاد ، وقال تعالى:« ومـن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهـو في الأخرة مـن الخاسرين » ولو كان الذي ابتغاه وطلبه ليتعبد عليه قليلا أو كثيرا ، وقال تعالى:« لقد كان لـكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخـر وذكر الله كثيرا » ومن زاد عليه ظنا أنه لايـكفيه متابعة فليس منه ولا

من أمته كالذين أحدثوا أذكارا وأعمالا ما عملها ولا صحبه مثل الصوفية وغيرهم ، وعن عبد الله بن عمرو قال أمـر النبي ﷺ مناديا أن يؤذن الصلاة جامعة فاجتمعنا إليه فقال : « ما بعث الله من بني في أمة قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهـو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليـأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ». وعن جابر قال قال رسول الله ﷺ : « أما بعد ، فان خير حديث كتاب الله وخير الهدى هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ». وعنه قال قال رسول الله في حجة الوداع: «كل أمر الجاهلية تحت قدمي وقد تركت فيكم ما أن اعتصمتم به لـــن تضلوا بعده كتاب الله وأنتم تسألون عني » رواهن مسلم. وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» «ومن أحدث في أمرنا ما ليس فيه فهو رد» رواه البخاري ومسلم وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : «أبغض النـاس إلى الله ثلاثة : ملحد في الحرام ومبتـغ في الاسلام سنة الجاهلية ومطلب دم امريء مسلم ليهريق دمه » رواه البخاري ، فهذه الأصول توقف المسلم عند حدود التشريع فلا يزيد عليه ولا يخرج عنه .

حكم من لم يحرم ما حرم الله

دول العالم مجمعة على حرب الله ورسوله ﷺ مـكذبة بدينه ، ومنها المنتمية إلى الاسلام نفاقا حكمنا عليها بالنفاق إنما هو على القادرة منهـا ، ولم تفعل لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعهـــا والعاجز لا وسع له على

ما عجز عنه والمتميـــة تعبد غير المسلمة بطاعتها لها فيما حرم الله عليها وترك مافرض ، وأصدق القول ماشهدت له سنن الله وأيده واقع الحياة فقد أذن الله وأعلم آكل الربا بحربه ورسوله وإن أمهله ، والمسلمون جميعـا لم لم يقوموا مقام الرسول بمحاربة آكليه اليوم وجميـع الدول ممن له أمر نافذ مصرون على استحلاله،إليك لسان حالهم مع الله يقول : الربا محرم وهم يقولون هو حلال ، ولا يحرم منه إلا ماعجزنا عنه وهم يدعون اليه ويحكم عليهم أنهم مجادون له وهم يقولون:رضينابذلك ماتضخمت ثرواتنا ، ويقول: ستغلبون ويقولون نغلبه مرة ويغلبنا أخرى ولا بأس علينا مادمنامتعادلين ويقول :سنته تشهد بصدقة ويقولون :لا نصدقها هذه طبيعة الدنيا مع أهلها ويقـول : إنهم لن يعجـزوه ، ويقولون : بلى سنقوى على الفرار منـــه بطياراتنا ومخترعاتنا المتجددة ، ويقول :انظروا في الأرض وأهلهـا مهلك الواحد بعـد الواحد والأمة تلو الأخرى كما تلمسون في أنفســـكم وما حولـكم ، ويقولون: ذه سنة الدهر والأيام يفنى جيل ويخلفه آخر وإذا ضاق بهم الموت والشدائد اليه سلموا كلهم لأمر الله وحده لاشـريك له قال الله تعالى : « الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطـه الشيطان من المس » هذه حاله في الدنيا لجمع الربا كما يكون حاله في الآخرة كذلك كقوله:« ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى» «ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا » وهـذا اعتراض منهم على شرعه فقد ألهوا أنفسهم مع الله وقدموا تأليههم عليه قال تعالى : « فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى» عدا أكله « فله ماسلف وأمره الى الله» لايؤاخذ عليه لأن الشرائع لاتلزم إلا بعد العلم بها أو بلوغها«ومن عاد»إلى أكله

م (٨)

فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » ثم قال تعـــالى: « يمحق الله الربا ويربي الصدقات » هذا وعـد لايخلف وإن كثر مال المرابي فهو إلى المحق بتلف ماخالطه وقد حكم عليه بالكفر مادام على ماحكينا عنه كما بشره بالاثم الزائد على جميـع الآثام له ماعدا الشـرك ، ثم خاطب الذين عندهم إيمان بالله أن ينتهوا عنه إن صدقوا في إيمانهم فان لم ينتهوا فملامة كذب إيمانهم بالله ذلك: «ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وماأنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به » فهذه صفتهم ما لم يرجعوا إلى أمر الله ولأنهم لم يزالوا على عبادة الطاغوت مع الله ولم يكفروا به ولم يوحدوا ربهم في الأمر الشرعي قال الله تعالى : « والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى » الآية « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا » لكم على النـاس فمن لم يفعل فعليـه أن يوطن نفسـه لحرب الله ورسوله ، وإن ندموا على ذلك وخافوا من حرب من لايقدرون على حربه فلكم رؤوس أموالـكم لايزاد عليها ولا ينقص منها ، وهذا من الله عين العدل والرحمة أيهـــا السامع لهذه الآيات اعلم أن الله لايكذب في خبره ولا يعجزه شيء ، وأن الحرب قائمة بين الله ومن يرابي وأن الهزيمة لاحقة به لامحالة وأن سيغلب طال الزمن أم قصر ، فالعاقل لايخاطر بحياته ولا ماله ولا عياله ، فكيف إذا جرت الأمور وشاهد المرابين تنهـــار صروحهم وما جمعوا طول حياتهم في الأيام القليلة بدليل واقع الدنيا ، ولقد اشتهر محمد ربعة بالثراء وكان يتجر في مليونين جنيهاً في مصر فانهـــارت ثروته حتى أصبح لا يملك شيئاً .

بيان الربا باختصار

الربا الذي يدخل تحت الآيات هو المستعمل اليوم بين الدول، وفي رعاياها لا يجهله أحد عاش تحتها، وهو الربح المدفوع لصاحب النقد نظير تأخير المبلغ الذي أخذه المدين غنياً كان أو فقيراً إلى أجل، وهذا يسمى ربا النسيئة فاذا تأخر المبلغ المذكور بعد حلول أجل تسليمه فزيد عليه ربما لاجل التأخير فهو الربا المضاعف في القرآن، وكلاهما حرام باجماع الأمة لأنهما الذي هدد الله العائد إلى أكله بالخلود في النار وهما أغلظ أنواع الربا وأخبثه، وماجاء عن النبي ﷺ من نهي المتبايعين بالذهب والفضة والتمر والحنطة والشعير والملح والزبيب قط بيع النوع بزيادة عليه لأمر مايسمى ربا التفاضل كجيد برديء، وزيادة للجودة وما جعل بديلاً عن النقود من أي نوع من المواد فحكمه كأصله بلا فرق لأن خاتم الدولة جعل له قيمة كالذهب والفضة لولاه لم يساو قطميراً .

وإليك الآيات التي أشرنا اليها مع حكاية حال المرابين قال الله تعالى: « ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار. جهنم يصلونها وبئس القرار. وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله » تأمل بدلوا نعمة الله، كيف بدلوا الحلال بالحرام والحق بالباطل والتوحيد بالشرك، وأضلوا من أطاعهم النار كما جعلوه قائداً لهم إليها كشياطينهم وأنداداً في التشريع وبذلك ضلوا وأضلوا رعاياهم وغيرها، وقال تعالى: « وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين. فقد كذبوا بالحق لما جاءهم » الآية هنا القرآنية المحرمة عليهم أو الموجبة عليهم وقال تعالى: « إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين كتب الله لأغلبن أنا ورسلي » وقال تعالى « وماأنتم بمعجزين في الأرض ولا في

السماء ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير » وقال تعـالى : « يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفـذوا من أقطـــار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطـان ... إلى ... يرسل عليـكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » وقال تعالى : « فلما جاءتهم رسلهم بالبينـات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون . فلما رأوا بأسنـــا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين.فلم يك ينفعهم إيمانهم لمـا رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون » .

كأني بمن لاعناية له بالقرآن والاسلام يقول هـذه الآيات نزلت في الكفار وتنزيلها على المسلمين لايجـوز ، فيقـول : إذا تحقق أنهم مسلمون حرم علينا إدخالهم تحتها ، وواقع الحال والأعمال منهم يشهد عليهم أنهم على غير الاسلام الحقيقي بدليل أنهم جعلوا لهم تشريعاً يضـــاده وألهوا مشرعيه كما فضلوه على شرع الله ، ويكفيك قول الله : « فـــلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا ممـا قضيت ويسلموا تسليماً » وهذه الآية يدخل تحتها كل ما أوجبه الله وحرمه وحكم به النبي ﷺ وقوله : « يحذر المنـــافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهـم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون.ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل : أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون. لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانـكم » .

ودليل منهم عليه أن دولة منها لو أصـدرت أمراً على رعاياهـا فأبت طائفة منهم أن يخضعوا لأمرها وأصرت بعـد الانذار على العصيـــان لاستحلت حربها وقتلها ، فالله أولى أن يغضب على من أصر على مخالفته أبدا،

فكيف والجميع يقرون به وأنهم خلقه وهو ربهم المنعم عليهم بما عندهم وما بهم من النعم لا يقدرون على إضافته إلى غيره ، فان قيل حكمت عليهم بحكم المستحل للربا وهذا غلو في الحكم عليهم ، قل : إن عملهم ودعائهم اليه واستمرارهم عليه واستهتارهم بأمر الله وتركهم الحكم بما أنزل الله يدل على استحلالهم له وهذا أبلغ من قولهم الحكم بالقوانين أصلح من الحكم بالقرآن في هذه الأيام ، والربا حلال لعموم البلوى باستعماله في الاقتصاديات اليوم ، هذا وليس الذي فعلته هذه الدول اليوم ببعيد عما ذكر الله من فعل اليهود في قوله: «فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً.وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً» ويدخل في هذا كل ماحرم الله من أموال المسلم بغير حق كالجمرك ورسوم الاقامة على من أراد أن يستوطن بلدهم مثلاً .

وصية مع الموازنة التي تبين زيف الايمان من صدقه

أيها المؤمن الحريص على دينه المبتلى بالاختلاط بأهل الباطل والقوانين التي لاتحرم ماحرم الله ورسوله ، اعلم أن الله امتحن العباد بحب المال إذ عليه قوام الحياة ، وحرم عليهم القليل منه كالربا والقمار والاتجار في الخمر ونحوه ، وأحل لهم الكثير منه لينظر من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه بعبادة المال واتباع الهوى وما يزينه الشيطان من ذلك بأنه تابع لولاته والتبعة عليهم ، وأنه قد أفتى به العالم الفلاني والحكومات اليوم تتعامل به ، فاحذر ذلك لئلا تزل قدمك وراء تقليدهم كما أوصيك باتباع الحق وجعل قوله تعالى : « اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا

من دونه أولياء» نصب عينيك كما أذكرك قول الرسول ﷺ : « تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم» فقد أخبر أنه يعبد المال والشهوات أقوام يتعسون بعبادتهم إياه، وأعلم أن من عرض عليه تحريم الله الربا من أكابر الحكومات المتفشي فيها وفي المصارف الذين عندهم بقية من إيمان يقول : هاتوا لنا حلاً يجمع لنا بين ماوقع فيه الناس منها وغيرها من تلك المعاملات المالية يوافق الاسلام حتى نطيعكم ، فاذا قيل له : حرم ما حرم الله بصريح القرآن من ربا النسيئة الذي نعاه الله على الجاهلية وهدد آكليه بالخلود في النار ولم يجزه أحد من أهل الاسلام قط ، يقول : لابد لنا من مسايرة العالم لارتباطنا معه في الاقتصاديات في هذا العصر ، فيقال أرأيت لو أن العالم أنكر الدين السماوي كما عليه الشيوعية وجمهور ملاحدة الأمم الآن أتسايره على ذلك ، وتأمر بانكاره في المدارس إن كان لك سلطان عليها كما سلكت روسيا هذا السبيل فلسانه وإصراره يقول :

ما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

وبهذا يتبين لك عابد المادة وما يهواه من عابد الله إذ قدم ذلك على وصية ربه وإلهه بديلاً منه تعالى وصدق عليه : « ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين. وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون . وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين . أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون » وقداتهم الله ودينه كما ترى انه لا يصلح لاصلاح الأمة ولايساير الزمان ــ كما شهد الله عليه

بذلك ـ وانه مريض القلب في دينه مرتاب في امر ربه لتفضيـــله مسايرة العالم على مخالفته .

واعلم أن العالم والناس إذا لم ينقادوا لأمر الله والاذعان لشرعه فقد خرجوا عليه وصدقت عليهم الآية كما تعلم أن العالم سائرون إلى هذا في اليوم وبعده لا محالة كما أخبر بهذا النبي ﷺ تحذيراً لأمته من الكفر والركون إلى الظالمين إذ قال : « لا تقوم الساعة وفي الأرض من يقول الله الله » وإن لم يحدد الله زمنه كما لم يعين من يؤمن ممن لا يؤمن من الناس وقد قال: « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » وأن الأمرين كائنان ، ومع ذلك أمر بالدعوة إلى الله وتبليغ الحق عموم الناس والدفاع عن الدين في كل زمان قال الله تعالى: « هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك » وأخبر النبي ﷺ أن منها طلوع الشمس من مغربها وأنها إذا طلعت آمن الناس أجمعون وحينئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل الطلوع أو كانت مؤمنة ولم تكن انتفعت بايمانها لحبوطه بالشرك والمفسدات ، وأخبر أيضاً: أن الحبشة ستهدم الكعبة ويلقونها حجراً حجراً في البحر ، ومع ذلك أمر بالدفاع عنها لأن ذلك من قبيل الجهاد الدائم على الأمة المحافظة على الدين ودعوة الخلق إلى الحق مادام الداعي يؤمل أن يقبل منه إلى يوم القيامة، وقال عليه السلام: « ماتزال طائفة من أمتي على حق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » لهذا أوجب الله على الأمة الدفاع مادام يوجد فيها من يؤمن بالله واليوم الآخر ويرجو أن يقبل منه الناس إذا دعاهم إلى دين الله والله الموفق للصواب .

وعن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ : « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه » . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا » رواهما مسلم ، أعرض حال الناس اليوم وبالأخص ما أصاب العرب من التهالك على المال والمناصب على الحديثين تراهم قد ضحوا بدينهم طلبا لذلك وتفضيلا عليه تعلم أن المال يعبد أكثر من الله هداهم الله .

طرف مما ذم الله عليه أهل الكتاب كنصيحة للمسلمين لئلا يقلدوهم في الشر فيضلوا كما ضلوا

قال الله تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون » « يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله » « فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون » « وترى

كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعـدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون. لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون» «أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون» «ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون» .

دخل تحت عموم هذه الآيات عنهم كل منكر وقبيح ذكـره الله في كتابنا سواء من عمل حكامهم وجمهورهم كنقض العهود وإبطال الحدود والرضا بحكم الطاغوت على قومهم ، أو كان من عمل العلماء ككتمان الحق وتحريف آيات الله إرضاءاً لملوكهم،واشتروا بها ثمنا قليلا من جاه أو منصب أو متاع دنيا ، أو كان من عامتهـم كتقليدهم للعلمـاء كما يتلقـون عنهم ما يشرعونه من تحليل ما حرم عليهم أو تحريم مـا أحل لهـم ، ويشمل هذا الذم والانكار كل حاكم وعالم وعامي من المسلمين متى قبل شيئاً من ذلك لأن الله ما أورده في القرآن إلا لنجتنبه ونعلم أن من سلك سبيلهم فعليه من الاثم والعقاب والتبعة والذم كالذي ألحقه بأهل الكتاب ، وقد حذرنا نبينا من التأسي بهم وأخبرنا أن مـا صنعوه من الشر لا بـد أن نعمل مثله كما يصدق هذا واقع الحياة عند المسلمين عمومـا وخصوصا في هذه الأيام التي يسارعون إلى تلقي ما تقذفه عليهم اليهود والنصارى من أخلاق خبيثة ومعاملات سخيفة وأمور لا يقرها ديننا كما لم يقرها دينهم، فعلى المسلمين أن ينتهوا عـن تقليدهم ، فكيف وقـد قلدوا من لا يدين بدين سماوي كروسيا وملاحدة الأمم التي لا تتقيد بدين أصلا ولا يرضيهم ذلك .

يؤكد هذه الآيات ما أخبر به النبي ﷺ أن أمته ستتبع أهل الكتاب في كل شر كما دل عليه واقع الحياة إذ قال : « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قلنا يارسول الله اليهود والنصارى قل فمن» يعني لا يقصد غيرهم ، فمايك أيها العاقل باتهام نفسك فانها أهل لكل شر ،و إياك وتزكيتها، قل الله على عموم البشر : « وكان الانسان ظلوماً جهولاً» « إن الانسان لظلوم كفار» «قتل الانسان ما أكفره » .

ففي الآية الاولى نعيه على أهل الكتاب وإخباره أنه أخذ العهود عليهم أن يبينوه للناس ولا يكتمونه، فلم يوفوا بعهده ولم يقوموا بحقه بل طرحوه وراء ظهورهم وأخفوه عن الناس مالم يأخذوا عليه ثمناً من متاع الدنيا ، ومنه أن يمالؤا حكامهم على كتمانه أو تحريفه لمن أراد ذلك منهم لما يرجونه منهم .

وفي الثانية أعلم بما يصدق عليهم وغيرهم ممن جعل الدين مصيدة للدنيا ، كما حذر الأمة الاسلامية من أحبارها وعبادها ما داموا على هذا الوصف من أكل أموال الناس بالباطل وصدهم عن سبيله وإفسادهم دنياهم وأخراهم ، ولا شك أن هذا الذم لاحق كثيراً من علماء الاسلام اليوم وقبله وبعده ، وليس لقائل أن يخص هذا بأهل الكتاب دون أمة محمد لأنها أهل كتاب كما أضافهم وأضاف اليهود والنصارى إليه ، ولأن الله ما ساقها في كتابنا حكاية بدون فائدة لنا بل أراد تحذيرنا من التأسي بهم ، كما أخبر بهذا نبيه في حديثه ناهياً لنا عن أفعالهم الذميمة من كتمان العلم واشتراء الدنيا بالدين والصد عن سبيله والخروج على أوامره بالتكذيب لها

وركون العلماء إلى الحكام الظلمة ، وليس لك أن تبريء نفسك من ذلك بالأماني فكل من العلماء والحكام والعامـة عليه قسط من المسؤولية فاذا سكت العالم عن منكر يعلمه وهو يقدر على إنكاره بلسانه فقد شارك في الكتمان ، وقد أوجب على أهل العلم أن يبثوه في الأمة ، ولا يحابوا فيـه أميراً ولا غيره لمال أو قرابة أوخوف لأنه يمتحن كلا من الأمة بما يناسبه.

في الآية الثالثة وصف الله العلماء بأبشع وصف وأخبثه بعد أن أورثهم كتابه وشرفهم العلم به وتلقيه عمن قبلهم، ومع هذا أخبر أنهم يأخذون عليه متاع الدنيا وعرضها الأخس من مال وغيره ، وإن وصل إليهم مثله أو أخبث منـه آثروه على ثواب ربهم كما يوجبون عليه أن يغفر لهم ذنوبهم بالأماني الكاذبة من كتمان واشتراء بآياته ثمناً قليلاً ، وقد أيقنوا أنه أخذ عليهم العهد ألا يقولوا عليه إلا الحق، كما درسوه المرة بعد الأخرى وفهموه حق الفهم ، ولهـذا أنبهم أقبح تأنيب وأشفق ووبخهم بألا عقول لهم تحجزهم عن الهلاك حيث اشتروا الدنيا وما فيها من خسيس بما وعدهم به ربهم من أجر في الآخرة وكرامة لهم في الدنيا قبلها إذ هذا صنيع من لا يؤمن بالآخرة إيماناً حقيقياً ولا يصدق ربه فيما وعده به .

والآية الرابعة أخبر أن عامتهم اتبعوهم على تلك الأعمـــال الذميمة مسارعين وراءهم باقتراف الآثام والعدوان على حدود الله والناس كأكلهم السحت من رشوة وقمار وربا وغيره .

وفي الخامسة وجه الله تعالى اللوم إلى الربانيين من النساك بالدين وأكابر

علمائهم على اهمالهم نصح الناس حتى اجترؤوا على القول بالأثام والاجرام والعصيان لربهم وأكل السحت وما لا يحل لهم .

وفي السادسة اخبارنا أنه سيوجد من علمائنا وحكامنا من يحرف كلامه ويبدل دينه كما بدله وحرفه أهل الكتاب تحذيراً للمؤمنين عموم الناس من شر العلماء والحكام الظلمة فالحذر الحذر أيها المسلم .

وفي السابعة البيان الواضح أنهم لبسوا الحق بالباطل ليروج على الناس لأن الانسان فطر على ألا يقبل الباطل البين بطلانه ، فلما خلطوا الحق بالباطل قبل منهم لخفاء الباطل فيه كقولهم: «اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة» أنهـــا الاولياء والمشائخ الصالحين فظن العامة انهم صادقون فتوسلوا الى الله بهم .

اليك أسئلة استعرضها على الآيات الآنفة الذكر التي حكاها ربك عن علماء الأمم الثلاث

هذا ولئن انصفت من نفسك لاتخرجها يقيناً عـن الآيات ، اخبرني بهذه الأسئلة بعض الاخوان ، ومنهم زكريا محمد عمر التاجر بمكة المستورد بطريق البنك البضائع انه سأل احد العلماء عن التأمين على الحياة والبضائع المستوردة ونوعي ربا النسبة الابتدائي والمركب التقاعـدي وأسئلة مـع ذلك هل يحل ذلك لضرورة التجارة ومسايرة المصارف اذ انهم لا يعطون الا بذلك فلم يرد عليه ، وكتب هذا السؤال ا « مجلة الحضارة » لعل احداً

من قرائها يجيبه فلم يأته جواب ، فأرسله إلى هيئة عالمية مرشحة للاجابة على مثل هذه الأسئلة فلم تجبه عن شيء منها .

ثانياً اخبرني أن أحد أهل بلدة اندونيسيا كتب إليه يشتكي من العلماء انهم لا يردون على السائلين، إذ سأل احد الأكابر عن اسئلة تتعلق بالتجارات مع الشركات والمصارف ومنها الربا المستعمل فيها ، هل يجوز اخذه منها بفوائد ٥ ٠/. ، ٦ ٠/. فلم يفده عن ذلك ، ومن المعلوم ان الذي استفتى عن تلك المسائل ما ارسل إلى أحد علماء المملكة إلا لأنهم يحسنون الظن بهم اكثر من غيرهم ، وكتب إلي انا احد طلبة الاخوان بكندا يسأل عن تشريح الأدمي بعد موته لمصلحة الأحياء ، وعن شحم الخنزير يستعمل في الصابون ، وهل يجوز للطبيب تشريح بعض الحيوان ليقف على جريان الدم في الشرايين كالأرانب وغيرها ، فأرسلت الأسئلة إلى الهيئة العالمية لتجيب عليها بفوائد ، فأخبرني أنها لم ترد عليه ، وأحد الاخوان في السودان واسمه محمد حبيب صالح تاجر ساعات ارسل إلى احد العلماء بالمملكة اسئلة كما في السؤال الأول فلم يفته ولم يرد عليه .

وكل هؤلاء يعلمون انه يجب على أهل العلم إذا سئلوا عن علم يعلمونه أن يفتوا السائلين، وكلهم قدمر عليه أو بعضهم «من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم بلجام من نار يوم القيامة» بل اكثرهم يحفظ قول الله «إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البنيات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللا عنون . إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا » وقوله تعالى : « إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة

ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار » اجارنا الله وإياهم من النار ، ويضاف إلى ما تقدم ان العلماء انتدبوا في الرياض لتعليم الجمهور في الجامع العامة ، فقام فريق منهم بذلك شهرا فلما راوا فيما ارى انهم لا يعطون على ذلك مالاً زائدا على مرتباتهم الشهرية بناءا على ان هذا إضافي يوجب على مـن كلفهم به اجراً زائداً انقطعوا عن تدريس الجمهور مـع العلم منهم ، ومـن قولهم : أن الملك المفدى فيصل بن عبد العزيز أيـده الله بروح منه ونصر به الاسلام وأمد في حياته حتى ينفع به أقوام ويذل به آخرون قد اغدق عليهم بما لا تدفعه دولة أخرى لعلمائها شهريا من المرتبات قط ، وليس في العرب أحد يدفعها لأمثالهم اليوم مع قله العمل عليهم زمنا في السعودية ، فان كثيرا من الموظفين لا يشتغل أكثر من أربع ساعات في اليوم .

هذا وربمـا يقول بعضهم تعليم الجمهـور فرض كفاية ولا يلزمني أن أضيف إلى عملي آخر إلا بمكافأة عليه ، فيقال لهـذا إن الله قـد أوجب عليك حقـا لتعليمه إياك دينه وكتابه لبني جنسك كالزكاة عليه والشكر له فكيف إذا صدر الأمر من نائب ولي الدولة بذلك ، ودعواك أن تعليم الجمهور فرض كفاية لايعنيك ان تساهم في نفع الأمة فانك تأخـذ مـن مالها المشترك ما يوجب عليـــك ذلك وألا تقتصر على الوظيفـــة التي تعلمت لأجلها فانقول الله: « إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل » يدخلك تحت الذم حتى احتاجت إليك الأمة لنفعها ولم تنفعها ، وفرض الكفاية إنما يوقف عنـده مالم تكن الأمة في حاجة إلى تعليم أمثالك .

فاياك أن تتقيد بما فرضه عليك بعض العلماء ففرض الله أولى وأوجب عليك من فرض البشر ، ويدخل تحت الآية المتقدمة أن يولى شخص على أعمال ما يحتاج فيها إلى أيد عاملة معه وحوله من أهل الخبرة والكفاءة من يقدر على القيام بها كما يعلمهم فيعدل عنهم إلى غير أهل الخبرة من أقاربه وذويه لغرض ، وقد تفشت هذه المسألة في جمهور الناس كأن الله لم يحرمها ولا دخلت فيما ذم الله عليه أهل الكتاب ، ومع هذا فضيحة في حق العلماء أكثر من غيرهم لعلمهم بتحريمها في كتاب الله عليهم كما أنها خيانة في الديانة لله ورسوله وغش للأمة ، وقد استفحل أمرها وكبرت على المسلمين كما كبر على المشركين ما دعاهم إليه الرسول ولسان حالهم يقولون سمعنا وعصينا هذا سواء كان عليها رشوة مالية أم لا ، ما أريد إلا الاصلاح وحمل المقصرين على مصلحتهم ، ونفع العامة بالعلم وابعاد الشر عن الجميع .

ماحملت الأمة من الآصار بعد وضعها عنها

من قواعد الفقهاء في الأصول أنهم قالوا : لا يدخل القياس في الحدود ولا الكفارات ولا المقدرات ، وقد قاسوا شجر الحرم وكلاءه إذا قطع على الصيد إذا قتله المحرم في الكفارة عنه مع العلم أن جزاء الصيد كفارة كما قال الله : « أو كفارة طعام مساكين » ويخرجون صيد حرم المدنية وشجره فلا يوجبون على صائده ولا قاطعه كفارة ، وقد حرم النبي ﷺ صيد وشجر الحرمين على السواء ، ولا جاء عنه قط أنه أوجب في شيء من ذلك على الصائد أو القاطع كفارة أو فرق بينهما ، وهذا أمر تتوفر الدواعي لفعله من قطع الشجر وصيد المحرم في كل زمان لان الطبيعة

البشرية صالحة لذلك ،وهم يقولون:الحظر والتحليل والايجاب لايجوز إلا بنص ، كما يقولون:من فاتته عرفة فلا حج له بناءا على حديث بين العلماء في صحته نظر ، ويقولون : من فاته طواف الافاضـة جبره بدم ، والجبر عبارة عن كفارة لما أخل به من ركن حجـه ، والقرآن يقول : « ولله على الناس حج البيت » الآية وهم متفقون على أنه ركن في الحج ولأن من فرق بين الأمرين لادليل معه فان قالوا عوقب بذلك قيل لايجوز لكم أن تفرضوا شيئاً مافرضه الله ولا رسوله ، ويقول قائلهم في الشجرة الكبيرة بدنة كفارة والصغيرة شـاة والكبر والصغر إضـافي ، ويقولون من ترك واجباً في الحج فعليه الفدية مع العلم أنه لم يرد في الحج فديـة إلا على من كان مريضاً فلبس ماحرم عليه لبسه أوحلق رأسه ، وما عـــدا ذلك لم يصح عن النبي فكيف وقد احتجم وهو محرم في وسط رأسه ، وقالوا في ثلاث شعرات دم وقد أمر النبي عائشة أن تمتشط وهي محرمة وقد يقـع منها ثلاث شعرات أو أكثر وامتشاطها عمد ، وجاء رجل اليه فقال : ما تقول في رجل أحرم في حجه بعدما تلطخ بالخلوق ، فأمره أن يخلع الجبة عنه ويغسل الخلوق ولم يوجب عليه فدية كما أوجبها الفقهاء على مثله،وهذا يدلك على أن العلماء غلوا في دينهم وتأسوا في أهل الكتـــاب في حمل الآصار على الأمة بلا دليل ، فعليك أن تطلب الدليل على كل ماتدعى اليه لتعمل به تقرباً إلى الله والله يغفر لنا ولهم ويهدينا وإياهم لما اختلف فيهمن الحق باذنـه ، ومن نظر في فتاويـــه ﷺ للسائلين في الرمي والحلـق والافاضة وتقديم بعض هذه الأمور على بعض ، وفعلها بالليل أو بالنهـار أيقن أن الدين يسر لاعسر فيه ، وأن النبي عليه الصلاة والسلام أجرى

الناس على اليسر والذي دل عليه كتاب الله فكيف والحالة عند رمي الجمار فيها أكبر حرج ، ولربما قتل بعض الناس في الازدحام وترى كثيراً من المتكلفين من فقهائنا لايجيز الرمي بالليل وهذا تنطع زائد فكيف والحرج يبيح للانسان أن يفعل مايقدر عليه بالليل أو بالنهار في مثل هذه الأمور التي أذن النبي عليه الصلاة والسلام في فتواه بها . ومنها صد أهل الطائف وجده وضواحي مكة عن صلاة الجمعة بايجاب الاحرام عليهم واحراجهم به والوضوء على الطائف بالبيت بغير دليل مع ألوف أمثالها والله أسأل أن يلهمنا وقومنا والمسلمين السداد في القول والعمل وصلى الله على محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين .

باب التحذير من التنافس على الدنيا لما يجر من خطر

لم يخف النبي ﷺ على أصحابه أن يقعوا في الشرك كما خاف عليهم وعلى سائر الأمة أن يتنافسوا على زينة الدنيا ومتاعها وشهواتها وأموالها وما يجر إلى ذلك من الحرص على الرئاسة والامارة التي تطلب للجاه والمال .

إليك جملة من أحاديثه تدل على ما أشرنا إليه ، عن عمرو بن عوف قال : قال رسول الله ﷺ: « والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم » . وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها ».وعن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ

: « إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لـكم من بركات الأرض . قيل: وما بركات الأرض، قال :زهرة الدنيا، قيل: أيأتي الخير بالشر قال:لا يأتي الخير إلا بالخير إن هذا المال خضرة حلوة وإن كل ما أنبت الربيع يقتل حبطاً أو يلم إلا آكلة الخضرة أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس فاجترت وثلطت وبالت ثم عادت فأكلت وإن هذا المال حلوة من أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو،ومن أخذه بغير حقـــه كان كالذي يأكل ولا يشبـع » رواهن البخاري ومسلم.وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنـكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضعة وبئست الفاطمـــة » . رواه البخاري .

في الحديث الأول أنه خشي على أصحابه والأمة حتى اتسعت عليهم الأموال أن يتنافسوا على جمعها والاكثار منها والشهوات فيشغلهم عن دينهم ، كما يحمل بعضهم على قتل بعض وعلى معاصي الله كما أصاب من قبلهم .

وفي الثاني:خاف على أصحابه من التنافس على الدنيا أشد من خوفه عليهم من الشرك ، فكيف بمن يعدهم لأن الانسان طبـع على حب المال والاكثار منه ، وشهوات النفس التي لاتحصى فيفسد دينـه بطلب ذلك والحرص عليه ولو من طريق الحرام ، كما يخاطر كثير من الناس بحيـاته للتزود من ذلك والواقع المشاهد يدل على هذا عند الناس .

وفي الثالث :ضرب لمتناول الدنيا وكاسب أموالها ثلاثة أمثلة ، ببهيمة الأنعام صنف منها إذا أصاب ما أنبت الربيـع وهو الماء والأمطار توسع في الأكل من نباته سواء كان ضاراً له أو نافعاً له فيعيش على مثـله ، أم لا من النبات ، وهذا الصنف مهلك بالآكل كما قال النبي ﷺ « يقتل حبطاً »

-يعني بانتفاخ بطنه- فيموت بذلك. الصنف الثاني: أن يأكل من نبات الماء مايوافق طبعه ويعيش على مثله غير أنه يزيد عن حاجته منه فينشأ عنه مرض وضعف لبدنه عكس مايطلبه الآكل حتى يؤذيه وإن لم يمت منه وإلى هذا أشار بقوله: «أويلم» يعني يقرب من القتل والتلف من ذلك. الصنف الثالث: المتناول من نبات الأرض الذي أخرجه الربيع والمياه مايشتهي بحذر ولا يسترسل مع طلب نفسه منه كما يتقي الامتلاء منه المضايق له وما يظن أن يضره ولا ينفعه، وقد شبهه النبي بالبهيمة اليقظة الخائفة على حياتها كما هذه طبيعة الانسان العاقل حيث قال على هذا الصنف: «إلا آكلة الخضرة أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس فاجترت وثلطت وبالت ثم عادت فأكلت» وهذا كناية عن حسن تصرفه في جمع المال تصرفا معقولاً وفق أمر الله وإخراج مايضره من ماله وإبقاء ماينفعه كصنيع آكلة الخضرة الحذرة من الضرر، وهذا الصنف ينفعه ماله ولا يضره، وقد شبه النبي ﷺ الأموال بالزهرة الجذابة بريحها ولونها لمن يراها وبالشيء الحلو في مذاقه لميل النفوس اليه طبعاً، فاذا تصور العاقل كاسبي الأموال والمستمتعين بالشهوات وجدهم لايخرجون عن هذه الأصناف الثلاثة المضروبة لهم، الأول: يستميت في جمع المال والشهوات حلالاً كان أو حراماً ولا يبالي بوضعه في حق أو باطل، وهذا يقتله ماله بافساد دينه وأخراه. الثاني: من عنده جشع شديد على جمعه ولا يتحرى في صرفه ووضعه وإخراج ماوجب فيه بدقة كالأول، فهذا يضره جمعه وحرصه عليه وقد يفسد عليه الكثير من دينه وإليه أشار بقوله: «أو يلم» يعني بقرب من إتلافه وإهلاكه وإن

لم يمت. والثالث: الذي ينفعه ماله في الدنيا والآخرة إذ توقى في تحصيله ما لا يحل له وعلم أن فيه حقوقاً فأخرجها منه، فعمل منه ما يرضاه مولاه ولم يشغله عن دينه ولا حمله على إرتكاب محرم، قيل لبعض العلماء نراك تحب جمع المال والرئاسة قال: كان بعض الصحابة هكذا، وهذا في نظري احتجاج بالخطأ على الخطأ أو جعل نفسه كأحد الصحابة فلو نتأمل ما في هذه الجملة وما دل عليه القرآن والسنة لعلم أنه مخطىء، فمن ذا الذي يبلغ شأو واحد من صحب النبي ﷺ من بعد القرون الثلاثة، فكيف بمن كان في عصرنا كهؤلاء الذين يطلبون المال والرئاسة بجشع ونهم وقد عيب على عثمان تقديم أقاربه على غيرهم وإيثاءهم بالمال على سائر من حوله، فهب أن أحدهم طلب المال والرئاسة فهل تبلغون في الفضل والسبق مثل عثمان، كما جهز جيش العسرة وما للكثير من المهاجرين وغيرهم من السوابق التي تمحو ما حصل من أحدهم، وقد ابتلى عثمان ببلوى قيل إن هذه سبب تقديمه وإيثاره لأقاربه المناصب، وكذا علي ابتلى بدوام الفتنة في خلافته التي لم تدع بيتاً من العرب إلا دخلته فعم شؤمها، قيل: لحرصه على طلب الامارة، فلو وزن جميع أهل عصرنا بواحد منها ما كان في جنبه شيئاً يذكر.

فعلى الانسان أن يعرف قدر نفسه ويحذر حب المال الذي يحمله على الانهماك في المحرمات كما قال الله عز وجل: «كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى» كما أن الرئاسة وسيلة لهذا فالحذر الحذر من الاغترار أيها السادة فانكم قدوة لأهل زمانكم والله أسأل أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه ويعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. يا معشر العلماء أنتم ملح الأمم ولا صلاح لهم إلا بكم وليس ما أصاب إخواننا من العلماء وغيرهم

بمصر والشام وبخاري وإيداعهم في السجون ومصادرة أموالهم بخفى عليكم وما الله بظالم لهم ، ولو تلمسنا عيوبنا لوجدنا أننا نستحق ونستهدف مثل ما أصابهم وما ذلك من الظالمين ببعيد ، وقانا الله وإياكم شر الفتن وكتمان الحق وما يجلب غضبه علينا قال الله تعالى: «أفأمنوا مكر فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرين» .

وصية الله بالعدل في الشهادة وللخلق في كل شيء

قد أمر الله بالعدل في الشهادة على الناس ولهم في كل شيء ولهذا نوه النبي ﷺ بفضله قائلاً : « إن المقسطين على منابر من النور عن يمين الرحمن يوم القيامة وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» اذن أفضل من هذه الصفة ولهذا يدعيها كل أحد كما يدخل تحتها كل شيء حيث لا يستقيم أمر الدنيا والآخرة ما لم يقم على العدل ، ومنه الشهادة لله وغيرها ، قال تعالى: «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل» «وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون» «ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين» «ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى» «وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله» فقد أمر الله كما ترى كل مؤمن ومؤمنة بالعدل سواء حكم لنفسه أو عليها ، وسواء القريب أو بعيد ، ومن العدل الشهادة التي يقوم بها لله أو لأي مخلوق فلا يحمله غنى غني على محاباته ولا فقر فقير على الرأفة به لأن الله أولى بها منه ، كما كلفه ألا

يتبع الهوى فيجور في الشهادة ولا يلوى بها عن الحق الى الباطل ، ولهذا حذره من الخيانة وأخبر أنه رقيب عليه في سره وعلنه، ودخل تحت عمومها كل شيء يشهد به المؤمن أو يحكم فيه لله أو لغيره .

ومن هذا شهد الله لهذه الأمة المحمديـة بالخيرية ما إتصفت بقوله : « كنتم خير أمـة أخرجت للناس تأمرون بالمعـروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ودخل فيها جميـع أنواع الجهاد في سبيله لأهـل المنكر والأمر المعروف بجميع أنواع البر ما استطاعوا فلا توصف بالخيرية ماتخلت عما أوجب الله وما حرم عليها لا جماعاتها ولا فرد منها ، إذا المعروف هنـــا ما أمر به والمنكر ما أنكره منهياً عنه ، وإن دخل تحت عموم المعروف والمنكر كل ما مدح الله عليه وذم فعله من المحرمات والحسنات إلا أن الشهادة لهم بالخيرية تحصل باتيانهم بالواجب وتركهم المحرم ، كما أن العدل الذي أمر به هو الانصاف وهو ماتقره الفطرة ويشهد له القرآن والشهادة مايشهده الحس أو يدركه بآثاره ، ودخل تحت الشهادة كل شيء إذ هي أعم من أن تطلب في المحكمة أو بين اثنين كشهادة الله لنفسه والملائكة وأولي العلم ، فان إختلف في شيء بين ذوي العقول فالحق مع من شهد له القرآن لأن الله جعله حكماً رقيباً على ما يدعيه الناس كما إرتضاه شهيداً على كل شيء ، فلو رد ما إختلف فيه إلى عقول الناس لم يأمر الله بالرجوع إليـه كما قال تعالى: « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله » وقال تعالى : « فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول» الآية. وقد أمر الله بالعدل في الشهادة بين العدو والصديق سواء إستشهد المكلف أم لم يستشهد ولو بالموازنة بين الأمور، وفي الآيات الحكم

على ما ذكرنا قبل وما يأتي ، ولذا أوردنا هذه الجملة هنا لتكون ميزاناً كما أوصى الله بهالعموم الناس وعليهم فيأقوالهم وأعمالهم حتى لا يزيغ الحاكم في شهادته عن الحق فيشهد بالزور لعظيم أوقريب بعلم أو بغير علم فتزل قدمه بعد ثبوتها فيدخل بها النار لصده بها عن سبيل الله .

بيان الزور والنهي عنه وبدعة المولد والعمرة الرجبية

ضابط الزور الميل عن الحق والانحراف من الصواب عمداً أو جهلاً سواءما كان من الأقوال والأعمال ومايشهد بالابصار ويسمع بالآذان وكعمل الجوارح والاشارة بها إلى إستحلال ما حرم أو تحريم ماحلل،وعلى هذا دلت الآي والأحاديث .

قال الله تعالى : « فاجتنبوا الرجس من الآوثان واجتنبوا قول الزور» وقال في صفة المؤمنين:« والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً » . وقال في ذم المشركين على الكذب وشهادة الزور: « وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك إفتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً » وقال منكراً على المظاهرين المحرمين نساءهم كأمهاتهم « ماهن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقلون منكراً من القول وزراً».

وعن أبي بكرة قال قال رسول الله ﷺ:« ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ـ قالها ثلاثاً ـ الاشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور ـ أو قول الزور ـ وكان متكئاً فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت».وعن أسماء قالت قالت امرأة:يارسول الله إن لي ضرة فهل علي جناح إن تشبعت من زوجي

غير الذي يعطيني فقال:«المتشبع بما لم يعطى كلابس ثوبي زور ».وعن معاوية أنه خطب على منبر رسول الله ﷺ فأخرج كبةشعر تصل بها النساءمع شعورها فقال:أن النبي ﷺ سماه الزور وينهى عنه وحرمه . وعن أبي هـريرة قال قال رسول الله ﷺ : « من لم يـدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه » رواهن البحاري .

وفي الأحاديث مايؤكد الآيات ويدل على أن الزور من أكبر الكبائر إذ قرنه الله بالشرك ، وعدله النبي به كما أعظم جرمه منوهاً على قبحه من أي نوع كان وعلى أي صفة عمل به سواء ما استعمل في الملابس والزينة والشعور والأطعمة والأشربة ،أو شهد به للاصلاح والافساد كله لايحل وأخبثه الدعايات المزخرفة بالتحسين لتروج على الناس لابطـــال الحق وإحقاق الباطل بالمدح والاطراء للرؤساء كله يصدق عليه زور وظلم واضلال ، فالحذر أيهـا المؤمنون فان هذا أكبر معاول ما هدم به الاسلام وأعليت به الطواغيت الحية والميتة حتى وقفوا في الطريق الداعين إلى الله، وأضلوا خلقاً كبيراً كماذكره الله عن إبراهيم إذ قال:« ربي إجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ربي إنهن أضللن كثيراً من الناس » .

يؤسفني ما شهد به عبد المجيد سليم شيخ الأزهر على هيئة كبار علماء مصر أنهم يـكنسون التراب الذي على قبر الشافعي ويقتسمونه بينهم تبركاً به ، كما يأخذ أحدهم العمامة التي على عامود القبر ويضعها على رأسه كذلك فما رد عليه أحد منهم ، وهذه شهادة عملية منهم نشرت هذا مجلة الاسلام. فما عبد أحد من دون الله إلا بعد أن يعتقد فيه جـزء من صفات الخالق زوراً إلا القليل ، كما شهد لهم المزورون لأن الله فطـر الناس على الاتجاه

إليه واكباره يرجع كلهم إليه إذا اشتد عليه الكرب كما قال : « وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا إلى ضر مسه » فلما توهم المشركون جزءاً من صفات الله فيمن كبر وعظم عندهم بالزور روجوا تأليهه بين الناس بالاطراء وشهادة الكذب سواء كان المعبود حياً كالعلماء والحكام الأحياء أو ميتاً أو جنياً أو حيواناً أو جماداً اتصل به بعض من توهم فيه الخير كالأشجار والأحجار والأحجبة والحروز والتمائم والعوذ ، وأكثر المعبودات ما عبدت مع الله حتى خلعوا عليها شيئاً من صفة الله كالعلم والقدرة والرحمة ولا يستثني من ذلك إلا القليل كالهول ومن عبد بطاعة تشريعه تفضيلاً له شرع الله، وإن كان كفره يمتاز على كفر الأولين لاعتقاده ان شرعه أفضل وأصلح من شرع الله ولا يفيده أن يقول : أنا مجتهد لرعيتي فانما أبيح الاجتهاد أو طلب من المختص به المتأهل له في دائرة الأدلة الاسلامية كما عذر المخطيء فيه ما بذل جهده ولن يعود إليهم النصر من الله مالم يغضبوا له ويغيروا ماهم عليه لأنه لم يتعهد بالنصر إلا لمن نصره أعني دينه وشرعه بالعمل به ما استطاع اللهم إلا استدراجاً كاليهود لأن الفريقين تشابها في نبذ كتاب الله وراء ظهورهم عملياً،ولهذا قال على اليهود: « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » ،وقال لعموم المكلفين « إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وقد خرجوا على الله في الزيادة على دينه واطراح مافرض وأوجب عليهم في قرآنه ومنه التشريع الذي أله جمهورهم واضعه واشترك ولاتهم فيه بلا عذر ولا شبهة بتأويل ومن هذا : العمرة الرجبية وبدعة المولد

النبوي فان هاتين نشأ عنها شر كثير على الأمة حتى حسبها جمهور المسلمين مــن أصل الاسلام ، كما تقربوا بها إلى الله وساووا الجاهلية في شرع مالم يأذن الله لهم فيه كما قال : « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله » . وقد أنكر النبي أمراً أخف منها العتيرة إذ سئل عنها وهي شاة يذبحها أهل الجاهلية عادة في رجب وفرعاً وهو أول النتاج لطواغيتهم فقال : « لا فرع ولا عتيرة » يعني أن هذه العادة يجب تركها لأنها تؤول بالناس إلى الابتداع في الدين بتفضيل العبادة في زمان أو مكان بغير دليل، ولهذا نهى المسلمين أن يختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ويوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون قبله يوم أو بعده يوم ، والقيام في جميع السنة والصيام مشروع كالعمرة في جميع الشهور ، ولكنه أراد أن يسد باب الابتداع لأنه أمر ينافي الرسالة إذ قيد المسلمين ألا يزيدوا عليها بما لم يكن عليه دليل من الاسلام لأن التشريع عبادة ولو نفلا لا يجـوز لغير الله ، ولهذا أنكر على نبيه تحريم ما أحل له مباحـاً كما قال: « يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك » . ولمـا لعن عصيـة وزكوان ورعلا وبني لحيان لقتل أصحابه غدراً أنزل عليه :«ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهـم » فلو زاد المسلمون صلاة سادسة أو أنكروا الوتر أو إستباحوا أخذ الربا ليتقووا اليـوم بالمال على أعدائهم لم يكن بينهم وبين الجاهلية فرق كما تقدم ، ولقول الله عنهـا:« اتخـذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ولهذا أنكر المحققون المولد النبوي والعمره الرجبية المعراجية لمضاهاتهم لأولئك الجاهليين في شرع لم يأذن الله به ، وإن أرادوا الخير وصرفوا فيــه الصدقات قالوا لو كان المــولد

والعمرة الرجبية من الاسلام لم يهملها النبي ﷺ ولا صحبه ولا القرون المفضلة في الأمة ، وإذ لم يعرفوا لها دليلاً ولا سبق إليها أحد من تلك القرون ولا كتب عنها أهل الحديث حرفاً عن النبي ﷺ أو صحابي يدل على فضل التعبد بها واحياء ذكرى النبي ﷺ وليلة المعراج ولا دون الفقهاء عنها جوازاً لها قط ، وهذا يدل دلالة قطعية على أنهما دخيل على الاسلام وبسكوت الحكام الظالمين والمائين لهم من علماء الضلال شب عليها الصغير وهرم عليها الكبير وعدها الجمهور من تعظيم النبي ﷺ ، وليس هذا غريباً إذ أقره حكامهم ومعاونوهم لأن الله ذكر مثله عن أهل الكتاب محذراً عنه وعنهم قائلاً : « قل يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل » . وأخبر نبينا أن سيوجد في أمتنا من يتبعهم على ذلك .

واشتهر عن بعض خلفاء المسلمين أنهم يسوون القانون الوضعي بالشرع الاسلامي في المدح والثناء يقول أحدهم : الشرع الشريف والقانون المنيف ،وبالحكم به خرجوا عن الاسلام ، ولو لم يكن في تحريم الابتداع إلا قول الله تعالى : « فمن أظلم مماً إفترى على الله كذباً أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون » لكانت كافية إذ سوى بين من شرع مع الله شرعاً يتعبد به الناس وبين من أبطل شرعه ، وقد عزم أربعة من الصحابة على التطوع ، فقال أحدهم: أنا لا أنام الليل ، وقال الآخر : أنا لا أفطر النهار ، وقال الثالث : أنا لا آكل اللحم ، وقال الرابع : أنا لا أتزوج النساء ، فلقيهم النبي فسألهم ، قالوا: نعم وما أردنا إلا الخير ، فقال : « أما أنا فأصوم وأفطر وأصلي وأنام وآكل اللحم وأتزوج النساء » .

والذين ابتدعوا المولد لو تدبروا أو فهموا بدعتهم لعلمـــوا أن الخير الذي أضاء الى العالم لم يحصل بيوم ولادة النبي لأن الله تعـــالى يقول : « وكذلك أوحينا اليـك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان » الآية . ويقول:« قل لوشاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون » والعمر الذي لبثه فيهم أربعون سنة قبل النبوة ، وإنما جاء النور يوم أن بعثه الله بعد هـذا السن ، وكان في قومه كرجل من خيارهم لافي الدين ولافي العلم ، كما قال تعـــالى : « ووجدك ضالاً فهدى » والعمرة المعراجيـــة الرجبية أعظم منهـــا بركة عليه وعلى العالم يوم البعثة والهجرة الى المدينـــة وغزوة بدر التي فرق الله بها بين الحق والباطل وأظهره الله والمؤمنين على عدوهم ويوم الفتح ومع هذا الفضل والنور الذي عم العالم لايصح أن يحتفل بيوم منها ولايحدث فيه مالم يعمله النبي عليه السلام ويكفي المؤمن إتباعه والتأسي به مادام يريد إكثار العمل والذكر ، فمن خالفه فقد عصاه ورغب عن سنته ولو قصد تعظيمه ، ودخل تحت الوعيد في قوله تعالى : « إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً »

ويوم الولادة لم يعلم بعينه والذين عينوه ١٢ ربيـع الأول وافقوا فيه يوم وفاته ففرحوا بذلك عدوهم وأظن هذه مكيدة أدخلهـــا اليهود على المسلمين ، وكذلك يوم المعراج لم يعرف بعينه بالضبـط ولا الشهر الذي عرج فيه بالنبي ، وسلف الأمة من الصحابة والتابعين لم يهتموا بتاريـخ المولد ولا المعراج لأنه لافائدة تعود على المسلمين منه .

تسمية من لم ينفذ ما كلفه الله به تحريماً وتحليلا مسلماً زور وتغرير مادام يستطيع، وبيان حكم من يرضى بالكفار عليه أولياء

كثر مدح الناس بعضهم بعضاً بما يشهد الواقع بكذبه ، وصفات الممدوح بضد ما نسب اليه وكذب المادحين ، وهذا عين الزور والشهادة به وخداع الناس ، ومنهم رؤساء الدول الاسلامية بقولهم القائد الاسلامي والزعيم الاسلامي والرئيس الاسلامي يطلقون هذه الصفات على من لا تصدق عليه من قواد ورؤساء وحكام وملوك شعوب المسلمين المستضعفين تحتهم ، وقد علم من القرآن والسنة واللغة أن المسلم هو المنقاد والخاضع لأوامر الاسلام ونواهيه على قدر إستطاعته في نفسه ومن له ولاية عليهم . قال الله تعالى : « إن الدين عند الله الاسلام » « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة» «إذقال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين » « قالت ربي إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » « وقال فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن » « وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا ».وقال النبي ﷺ :«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » ومضمون هذا أن ينقادوا ويستسلموا له ما استطاعوا فيما يأمرهم به وما ينهاهم عنه لأداء الواجبات، كما ينتهون عن المحرمات التي نص عليها القرآن لوضوحها وصراحتها بين المسلمين،وأولئك الذين يتزعمون الشعوب الاسلامية منتمين الى الاسلام باللسان والأماني ما منهم أحد ينفذ ما يعد به مسلماً من أمهات الاسلام إذ ورثوا تلك الرئاسة على المسلمين بعد الاستعمار واستقلوا فيما يشرعونه لهم في مجتمعهم . ولم يغيروا من حكم المستعمرين عليهم شيئاً قط بل قد أبطل بعضهم أموراً إسلامية

يعمل بها أيام الاستعمار كالحقوق الشخصية ، ولم يدخلوا حكماً من دين الله تدريجاً على نظامهم بل شرعوا أموراً عليهم ونفذوها فيهم حتى لا يخرج أحد منهم على نظامهم الموروث من أسيادهم ، ومنهم من له عشر سنين وأكثر وأقل حراً في بلده ومملكته يؤكد هذا أنها تنتهك حرمات الله وينال رسوله بالاستهزاء والسخرية كما مثل في مصر بديك حوله تسع دجاجات يعنون زوجاته فلم يغضبوا غضبهم إذ نالهم اليهود بالكارثة ، لهذا قلنا إطلاق الاسلام على الحكام وأعوانهم الراضين عنهم شهادة بالزور وخداع لرعاياهم وغيرهم ، فعلى من اندفع وراء التقليد ووضعهم بما لا ينطبق عليهم ولا على غيرهم أن يراقب الله ولا يخادعه والمؤمنين ولا يخدع الناس ويفضح نفسه فان الأمر واضح لا يخفى على من تدبر الاسلام.

وتأمل كلمة مسلم سواء كان من المسلمين أو غيرهم فان من مدحهم بالاسلام وتزكيتهم بالباطل لا تجوز ، فان قيل : إنما لقبوا بالاسلام من أجل أنهم يقولون: لا إله إلا الله ويعملون بعض الشعائر الاسلامية كما يشهد لهم جمهور الناس بذلك ، قيل : ماقولهم لا إله إلا الله فلم يؤدوا حقها لله ومن حقها أن ينقادوا لأمهات الدين ويعملوا بها ظاهراً ويحكموا بالقرآن بدل ما ورثوا عن المستعمرين ، وقد كان المنافقون في حياة النبي يظهرون بشعائر الاسلام وقد بدر منهم أقل من عشر ما بدر من أولئك الرؤساء قال الله : « ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم » وليست شهادة الناس لهم مقبولة إذ كذبها عمل المشهود لهم لأنهم أقروا تشريع الكفار ونظمهم مع مخالفته للاسلام ، وظهورهم بالشعائر لا يمنع من إطلاق الكفر عليهم أو مايستحقون إذ مازالوا منذ فارقهم المستعمر حتى

اليوم يحلون ماحرم الله كالربا والزنا بالتراضي والخمر والحكم بغير الحق وهم قادرون على تغيرهـا ولم يغيرونها بل رضوا بها لأمتهم تربوا عليها وظنوا أنها تحميهم من المسلمين لو ثاروا عليهم وطلبوا حكم الله بينهم، ومن العجب أنهم لم يصلوا إلى الرئاسة على المسلمين إلا بالدعايـة إلى الاسلام وعلى أكتاف أهله فلما وصلوا اليها استعبدوهم أشـد من المستعمر وأهانوهم.

واليك حكم الله عليهم وعلى اليهود وإخوانهم الذين حضنوا قوانين الكفار وقدموها على التوراة كما حضن هؤلاء الرؤساء قوانين المستعمرين قال تعالى: « ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليـه ما إتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون » وقال تعالى: « يا أيهـا الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ...إلى... نادمين» . وقال تعالى: « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شـيء إلا أن تتقوا منهم تقاه » الآية فلم يعذر الله إلا من عجـز عن دفعهم وأكرهوه على أحكامهم وولايتهم فقد ماثلوهم فيما ذكرنا سياسياً ونظماً وظلماً باطناً وظاهراً لأن الباطن كالظاهر مالم يكره صاحبـه عليـه، وصدق عليهم جميعاً ما حكم به الله على أولئك إذ تشابهت قلوبهم وأحـكامهم كما على الرعايا الذين تحت الغاشمين لله ولهم أن يعملوا ما استطاعوا على التخلص من ولايتهم عليهم، والله أسأل أن يصون مملكتنا السعودية الوحيدة بين هذه الدول الخارجة على الله ودينه فانها البقية الباقيـة التي مازال الحق ينادى به في ربوعها لايمنع المنادي به أحد، وقد وفد إليها مع القادمين

عليها رشاش من رائحة الوثنية سلمها الله منها ، كما أسأله أن يعين ولاتها على إبعاد ذلك عنها وكل باطل وينصر الاسلام على يدي مليكها فيصل الذي مازال رائداً للخير إلى المسلمين عموماً ، وكل من لم يظاهر من غيرهم عليهم أيده الله بالحق وأطال عمره حتى يعلو الاسلام في حياته كما علا من قبل على أيدي المخلصين رحمهم الله ، ووفق الجميع للاقتداء بهم في الدفاع عن دينه والجهاد في سبيله لاعلاء كلمته .

هذا ومن الضروري عند من تصفح الاسلام إن الله يطالب كل مصدق به وزاعم أنه مسلم وأولهم الرؤساء على المسلمين أن ينفذوا وصاياه ما استطاعوا على أنفسهم وعلى كل من تحتهم في أمور الدنيا كما يحكمونه في جميع شؤونهم المالية والعسكرية والوظائفية من كل ما يدان به لله كما أوصى أهله قائلاً : « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله » والمعنى أنه يجب أن يدخل في أعمالهم ومصالحهم ونظمهم التي يسيرون عليها في تحصيل خير الدنيا والآخرة بحيث يحلون ما أحل ويحرمون ماحرم ويوجبون ماأوجب ويخطرون ماخطر بلا فرق بين حق الله وعباده ، وندخل في هذا جميع الشؤون التي عليها حياة الناس في الدنيا والآخرة كالحقوق الشخصية من زواج وطلاق ومعاشرة ونفقات ومواريث وما دخل في ذلك ، ومثلها مناهج التعليم على اختلاف سنيه فلا يدخل فيها مالا يقره الاسلام ولا يحرم أحد من التعلم ولا يباح لأحد من أهل المدارس وغيرهم أن يتفوهوا أمام أهله بما ينكره القرآن ولا ما شاع عند من لايدين بالاسلام من اختلاط الجنسين في أي سن،وكذا المحاكم لايحكم فيها بمالا يجوز في الاسلام من قوانين البشر والعرفيات

الجاهلية ، وكذا المجتمع لا يطلق لأهله الحرية الشائعـة فيمن إستعمرهم الكفار كاباحة السفور في رعايا الملقبين بالمسلمين من خلفاء الاستعمـار وأخلاقهم ودينهم ، وكذا إقامة الشعائر العامة لايولى عليها إلا الأكفـاء الأمناء المصلحون قدر المستطاع ، ولا يرغم أحـــد على الاسلام ممن لايدين به ماخضع لسلطانه من المواطنين ، هذا ونحوه يعلمه من نظر القرآن بعناية .

ومن التتمة لمـا ذكرنا ملخص من كتب أهل العلم لا خلاف في هذا بين أهل الاسلام كما دلت عليه كتبهم ، فمن أخل بشيء من هـذه الجمل عمداً أو جهلاً فذكر فلم يرجع ، وبالأخص فيما حرمته صريحة ووجوبه على الأمة بالاجماع فهو غاش لنفسه ورعيته ولو إعتقد أن ذلك أصلـح لرعيته وحكومته ونظامـه جاهلي ، وإن نودي له على رؤوس الأشهـاد بالاصلاح والعدالة الاسلامية وملأ العالم أعوانه بذلك،فشهادتهم له شهادة زور وتلبيس على الناس كما علم عنهم ، ولو وجد الكثير من أحكامه من الشعائر الاسلامية فلا يعفيه من إطلاق الجاهلية على دولته وعليه ، كمـا علم هذا من دولة التتار والفاطميين ولأن جميع الدول التي فيها مسلمون وغيرهم والتي لا مسلم فيها في انظمتها الكثير من شعائر الاسلام ، ومـع ذلك سماها الله جاهلية كما قال : « أفحكم الجاهلية يبغون » . وحكومات ورثة الاستعمار اليوم علمانية دنيوية لا تؤمن بما وراء الدنيا ، اللهم إلا المستضعفين تحتهم كما أقر به بعضهم ، ويعلم هذا من داخلها، فالواجب على كل مسلم ألا يشهد إلا بالعدالة ولا ينخدع بالدعايات لأهل الباطل ، وإن يقف عندما أوصاه الله . قال الله فيما وصف به هذه الأمة إبراهم الخليل:

« وجاهدوا في الله حق جهاده هو إجتباكم وماجعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل » وفي هذا وقوله : «ربنا وجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك» ومن غير شك ماقصد بهذا من يقول لا إله إلا الله ولا يبالي بما إرتكب من كبائر الاثم ولا من قام ببعض الشعائر الدينية وهو لا يرضى بحكم ربه ، ولا من شهد له الناس بالاسلام لأنه رئيس على المسلمين وإنما قصد من أدى حق لا إله إلا الله، وكان مسلماً منقاداً مستسلماً لأوامر ربه منتهياً عن نواهيه ما إستطاع .

بعض مكر الطواغيت بمن يخافون منه

ومن مكر هؤلاء الرؤساء ومن على شاكلتهم أنهم إذا كان في مملكتهم أحد له مكانة عند الجمهور والدين يذكر عيوبهم ويشخص مافي دولتهم من من ظلم أمام الرعية ، أبعد طرف المملكة إن كان موظفاً فيها ، فان لم يكن لهم في عمل توسموا فيه إن كان يقصد الدنيا قربوه بالمال إليهم أو في وظيفة يرضاها وإن لم يكن كذلك وحمله دينه على بيان عيوبهم ومخازيهم وما في أنظمتهم من الجور والفساد وهو مسموع الكلمة بعثوا إليه من يغتاله ، وإن خشي أن يظهر أمره فتغضب له الرعية ويحصل فتنة متى قتل أودع السجن ، كما يصادرون الكتب التي تفضحهم ويمنعون نشرها وما لا يوافق سياستهم،ومع ذلك يدعون كذباً وبهتاناً إنهم يعطون رعيتهم الحرية ويذيعون ذلك في صحفهم وحيلهم كثيرة على اختلاف الأيام ، كفى الله المسلمين شرهم وأعوانهم وكيدهم المتجدد ، فالحذر الحذر أيها المسلم هذا مثل تدخل تحت قول الله: «ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود

والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به » .

وأعلم أن كلاً من الناس إلا القليل عنده من عبادة الطاغوت والدنيا والشيطان والهدى مقدار ما صنيعه عمداً أو جهلاً من دين الله مادام القرآن والاسلام بلغه وهو قادر على فهمه والعمل به متى حاول ذلك في حدود وسعه . قال الله: «وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » . وقال: « لايكلف الله نفساً إلا وسعها » . وقال: « فاتقوا الله ما إستطعتم » . وقال: « هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنمَّا هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب » . وقال « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » . وقال « أرأيت من إتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا.أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا » وقال : « ألم أعهد إليكم يابني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن إعبدوني هذا صراط مستقيم . ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً » وقال : « فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ماأنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمونى» وقال: «ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين » وقال في إحباط الشرك الايمان : « ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك » ... إلى غيرها وقال النبي ﷺ : « على المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره مالم يؤمر بمعصية فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » والمعنى إن ولي الأمر قد يأمره بما ليس بمعصية لله فلا يمتنع لأجل معارضته مصالحه الخاصة . وقال : « سيولى عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برء ومن أنكر سلم ولكن من رضي وتابع ، فقالوا:

أفلا ننابذهم ؟ ! قال : لا ،ماصلوا ، لاما صلوا » رواهما مسلم . وهذا محمول على المتأولين لارتكاب الكبائر مالم تكن كفراً بواحاً ولا شركا صراحاً عند الأمة فيه برهان من الله ، فعلم من هذا أنه لايخرج على الوالي ما دام يصلي ولو نفاقاً لأن الخروج فتنة أكبر من ذنبه كما جرب ، إذ كل شر دخل على الأمة من يوم قتل عثمان أعظم مما نسب إلى الخروج عليهم لهذا قلنا ذلك . وقال النبي ﷺ :« كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » وقال : « ما من راع إسترعاه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار » رواهما البخاري ومسلم إلى غيرهمامستفيضاً من السنة . ومما يدل على صدق مانسبناه إلى الحكم الباغين على رعاياهم من المسلمين إذ ورثوا رئاستهم عن المستعمر الكافر أنهم يذيعون على رعيتهم كلما يشتهون ولو كان مفسداً لأخلاقهم متلفاً لأموالهم وصحتهم منافياً لدينهم وفطرتهم التي تؤيدها الديانة السماوية والعقل السليم لأجل أن يرضوا الجميع بذلك ، ويزعمون أن هذا من العدل عليهم وحق لرعيتهم سواء كانت متفقة في دينها أو مختلفة فيه كأن تكون مسيحية أو بوذية أو مجوسية أولا دين لها .

ولا يخفى على أحد من أهل الأرض أن الناس مختلفون في آرائهم وشهواتهم دينية كانت أو دنيوية ، ولهذا أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لتجمعهم على ربهم وما يصلح لهم دنياهم ، وهؤلاء الحكام يرون أنهم إذا لم يعطوا كل انسان مايهواه لم يعدلوا ولم يساووا بين رعيتهم كما يخافون أن ينسب اليهم الظلم والتحيز إلى فئة دون أخرى ، والمصلح لا يرى هذا الرأي سواء دان بالديانة السماوية أو غيرها ، لأن فعلهم

واعطاء كل أحد مايهـواه غش وخداع لهم وفضيحة يعلمها العالم اذ الوالي والحاكم مطالب أن يعمل الأصلح ، فالأصلح للرعية ، ولا يخالف في هذا أحد وعملهم هذا دليل غشهم رعاياهم كما أنهم به يعبدون الرعية بالتماس رضا الجميع ولو ضرهم ، ومنه سماحهم لخروج النساء المتهتكات في المحال العامة وغناء الميوعة بهن وعرض صـورهن في المعارض والتلفزيون ومحل المصور ، ولا ريب أن هذا أكبر مقر على الزنا وافسـاد أخلاق الأمة وذبح الفضيلة كالخمر بلا فرق .وإني لأعجب لقوم ينادون بالاصلاح كيف يبيحونه لرعيتهم وهم يرون أثره السيء وإني لأرجو الله أن يوفق قائدنا المظفر فيصل بن عبد العزيز وأعوانه لمنعه قبل أن يفتك بشبابنـا وفتياتنا المتلهفين على قبول كل جديد ولو أتلف دينهم وأموالهم وأفسـد أعراضهم أيده الله ومن معه على الهدى بالرشاد والسداد .

باب ماعلى المؤمن لربه في دولة لا تـــدين بالاسلام أو تدين بـــه لساناً

قد أورد الله في كتابنا قصة يوسف ومؤمن آل فرعون وكلاهمـا في دولة لاتقر بما هما عليه من الاسلام وتشريع الله لعباده أحدها رسول اليهم ، والثاني مؤمن به وعلى شريعتـه وشريعة موسى بعد ان علم ببعثتـه والدولتان مشركتان بالله أرباباً تعبد من دونه كما صرح يوسف عن التي كان فيها بهذا إذ قال : « ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر الا تعبـــدوا إلا إياه » والثانية إدعى حاكمها الربوبية والالاهية على رعيته وقال مكذباً موسـى

وهارون :«أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون» فقام كل واحـــد منهما بما استطاع عند المناسبة من حق الله عليه كما طلب يوسف إذ قدموه مؤتمناً عندهم المنصب الذي يرجو بوجوده فيه أن يستميل قلوب الأمـة والدول الى الاسلام بالمال ووسائله ، إذ جعل مشرفاً عليـه لجذبه الناس كما فطروا عليه فرجا أن يسلموا أو بعضهم لأنهم ماديـــون الايمان باليوم الآخر فيهم قليل وهذا أقصى مايقدر عليه إلا سلطـان له على قلب الدولة فاصلح فيها قدر طاقته وما لامه الله على ماعجز عنه ، كما حكى عنه ذلك لنا في كتابنا ليتأس به من وجد في دولة كافرةبالله أو لا تقيم حدوده تامة ممن كان بعده إلى يوم القيامة وهذا موافق لما جاء به القرآن كما قال الله: « فاتقوا الله مااستطعتم » « ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها » كما يصـدقه العقل والفطرة السليمة ومن عداهم قادرين على التحول من الظلم قـــد هددهم بجهنم مالم يتحولوا عنه ، كما عذر المستضعفين منهم لفقد اسباب الانتقال عن الظلم بالعجز عنه بأي حيلة للتخلص منه ومن أهـله إلى أي سبيل تنجيهم وتقدمت هذه الآية مبينة،وأما مؤمن آل فرعون فقـــد عاش بين المشركين كاتماً إيمانه بالله خوفاً منهم على نفسه فلما جاءهم موسى بالبينات على رسالته من عند الله رجا من الله أن يقيه شرهم فصرح بالحق حينما سنحت الفرصة وما توجه اليه من الدفاع عن المؤمنين بالله ودينـه فذب ، وجادل عن موسى وعن الحق ومن عمل بـه ودعاهم الى الحق ، وقد حقق الله له رجاءه فأناله ما طمع فيه وحماه منهم ووقاه سوء مكرهم كما قال : « فوقاه الله سيئات مامكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب» ومثلها أصحاب الكهف اذ قاموا في دولة الوثنيين جاهرين بالدعوة الى الله

ومنكرين على قومهم الشرك الذي وقعوا فيه ، وهم يحسبون أنه ليس بكفر ، ولا أنهم خرجوا عن دين الرسل فنجاهم الله منهم ، وقد فشا هذا في أمة محمد وهم يظنون أنهم ما زالوا على توحيد الله وشرعه ، ومادكر الله هذا لنا إلا لعلمه أن سيوجد في أمتنا مثلهم ، وأخبر بهذا نبيه وقد تقدم غير مرة ليكون من ابتلى من الناس التأس بهم ، وهذا من عدل الله ورحمته بعباده إذ هذه سنة بشرية جرى عليها الاول وستكون بعده إلى يوم القيامة لايقدر المؤمن في أهل الشرك أن يظهر إيمانه فجعل الله له فرجاً ومخرجاً من ذلك باتباع من أناب اليه من المؤمنين وأهل الحق ، ولهذا أخبر في قوله: « إن الذين هادوا والنصارى والصائبين من من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون»« وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وماأنزل اليكم خاشعين لله لايشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم » الآية . وقوله :«وإن كان من قوم (يعني المقتول خطأ) بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله » الآية يعني بها أنه قد يوجد في غير المسلمين من يكتم إيمانه ولا يقوى على إظهاره فحكمه في الاسلام كما أخبرنا يؤكد هذا قول المقداد يارسول الله ان لقيت كافراً فاقتتلنا فضرب إحدى يدي ، ثم قال : لا إله إلا الله بعد ما قطعها أأقتله قال : « لا تقتله فان قتلته فانه بمنزلتك قبل أن تقتله وأنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال » إذا كان رجل مؤمن يخفى ايمانه مع قوم كفار فاظهر ايمانه فقتله فكذلك كنت أنت تخفي ايمانك بمكة رواه البخاري .

وهذا صريح فيما دلت عليه الآيات والعقل ورحمة الله بخلقه وهذا

كالبيان لما يروى عن النبي : « من تشبه بقوم فهو منهـم » يعني في ظاهره مع الكفار والمشركين إذ قد يظهر بمظهرهم في الملبس والصف في القتال وقلبه مؤمن بالله ولا يقدر على التخاص منهم بأكثر من هذا والله أسأل العافية لي وللمؤمنين في الدنيـا والآخرة .

ما ينبغي أن يكون عليه الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر

يشب الانسان ويشيب والنقص من لوازمه لاينفصل عنه قط علم به أم جهله مهما بلغ من الصلاح والعقل والعلم ، إذ وصفه خالقه بالظلم والجهل والضعف ، ولايخفف هـذه الجبلة عنه والطبائع المركوزة فيه إلا متابعته للرسل والتخلق بصفاتهم ، ومنهم سيدهم الذي جمـــع الله فيه فضائلهم الكريمة وشهد له بقـوله : « وإنك لعلى خلق عظيم » وقوله « فبما رحمـة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » كما أمر الله الأمة باتباعه ، لهذا يجب على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتأس به ما استطاع كما يكون على علم بما يأمر به وينهى عنه قبل الشروع فيه ، ويختار أنسب الاحوال للمنصوحين وأيسر النصائح عليهم وأقربهـا إلى الحـق ، وألا ينفـر ولا يعنف حتى يقبل منه ارشاده ، فان التنفير والتعنيف نوع مـن الصد عن الحق مالم يوضع في موضعـه وسبب لرده عليه وكنت في جماعة من أهل العلم في المسجد الحرام فـدخل أحـــد المسلمين ليصلي ويسمع الدرس وفي جيبه علبة دخان فوصفهـــا أمامه ، فتناوله أحد الجالسين بعنف وشدة قائلاً : أتدخل الدخان في حـرم الله ؟ فدهشت من شدة انكاره حتى أنستني الدهشة ما أذكره مـــن أخلاق

النبي عليه السلام : إذ بال الأعرابي أمامه في مسجده وما كان عليه من رفق ولين حين علمه وأمر صحبه كيف يعلم الجاهل ، وبالأخص من أساء وهو يعتقد أنه لم يسيء ، فمرت العاصفة وقمنا فراجعتني ذاكرتي وذكرت قول النبي عليه السلام لأصحابه والأعرابي حينما تناولوه منكرين عليه بوله في المسجد قال : « لا تزرموا عليه بوله ودعوه فانما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين » . فلما فرغ دعاه فقال : « إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن » ثم قال : « صبوا على بوله دلواً من ماء » وتمنيت أني ذكرت هذا الحديث والخلق الكريم حين أنكر على واضع الدخان المنكر كما أخفف على واضع الدخان في المسجد ما أصابه من الخجل والفزع بين أهل العلم إذ لم يجدله مغيثاً ولا عاذراً ، وذكرت قول النبي أيضاً : « يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا » رواهما البخاري ومسلم .

وذكرت تعليمه ﷺ معاوية السلمي قال: «بينا أنا أصلي مع النبي ﷺ إذ عطس رجل فقلت : يرحمك الله ، فلما صلى دعاني فوالله ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني - يعني ما انتهرني - ولا ضربني ولا شتمني ، ثم قال : « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن » رواه مسلم . وبهذا التعليم واللين الذي لا نظير له في العالم إنتشر دينه بين الجفاة من الاعراب

والخاصة والعامة من جميع الاجناس ، وأخـذوا عن أصحابه باختيارهم إذ علموهم كما رباهم على ذلك التعليم ودخلت الأمم في دينه أفواجـاً بلا إكراه ولا مطامع دنيوية ، وأصبحوا بعد الجهل علماء حكماء ، كمـا كان الاعرابي الراعي للغنم يقود الجيوش بمهارة ودراية لايعرفها من تدرب في الحروب من الفريقين في الحضارة كالفرس والروم كما يسوس الامصار متى أمر عليها .

فيا أيها المسلمون إرجعوا إلى كتابكم وتدبروه بامعـان وعناية لفهمه واتبعوا نبيكم في تعليمه وأخلاقه ، هذه كلمة من إرشاده من بحر لا حد له واعلموا أنما أخرنا وصيرنا إلى حالنا من تفرق وتدهور وحطنا إلى مانحن فيه من الجهل والذلة إعراضنا عما جاء به والتماس الاخلاق من غيردينه، فكلمة من إرشاد نبينا وتعليمه تغنينا عن تعلم سنين في جامعات أعدائنـا وكلياتهم ومدارسهم بل تكفينا عن التماس الهدى والأخلاق من كتب عموم المذاهب القريبة الى الاسلام بما فيها منه وغيره ، هذا وإذا تذكرنا أن النبي ﷺ كان يدخل المشركين في مسجده هان علينا وضع الدخان ونحوه بالمسجد الحرام كما يتركهم فيه يصلون إلى المشرق فهم مبهم صحبه فقال : دعوهم فتركوهم فليس الدخان بأقبح من المشركين لأن الله سماهم نجساً ولا إدخاله في المساجد بأقبح من ترك المشركين يبيتون فيهاويقيمون صلاتهم في مسجده وهم عرضة أن ينجسوه ويلوثوه بما لا يتطهرون منه .

فعلى كل مسلم أن كان يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن

يكون بصيراً بما يأمر به عالماً بما ينهى عنه حتى لا يكون منفراً ولا صاداً عن سبيل الله ، وعلى الداعي إلى الله ان يقرب الناس إليه بحسن خلقه والتبشير ويجتنب التعسير ويعمل على تقليل وتكثير الخير ، ويسلك أقرب الطرق لقبول تعليمه ، والأحاديث في هذا الباب كثيرة والآيات ، وإنما حملني على ذكر هذه النبذة من قول النبي ﷺ اهمالنا التأسي به والسير على مانشأنا عليه والفناه ولو خالف هديه .

وصلى الله على محمد وسلم ورضي عن أصحابه ومن اتبعهم باحسان الى يوم الدين .

★ ★ ★

الفهرس

٣ المقدمة

٥ أول وعي الانسان مبادىء العلوم المكتسبة بالفطرة.

٦ جزاء من أهمل مواهبه الميزة له عن البهائم

١٠ ما عناه الله بشفاء القرآن ، هاك الدواء إن أردت الشفاء لتعالج أمراضك به.

١٢ الحكم على من لم يعمل بالقرآن ولا نجاة لأحد من الضلال ما لم يتدبر القرآن بعد بلوغه إليه متبعاً له مالم يكن له عذر عند الله.

١٥ تحذير العامة من تحريف الأكابر.

١٨ بطلان الأحجبة وما يعلق على الصبيان وغيرهم ويكتب.

٢٢ تكذيب الناس ربهم متى اتخذوا أولياء لهم من دونه كما كذبوه بطلبهم شفاعتهم لديه ما لم يأذن لهم فيها.

٢٦ رد شفاعة كل شافع الى الله ما لم تكن من المأذون لهم فيها.

٢٩ شفاعة النبي و المؤمنين لمن مات على التوحيد وبيان من لا تنفعهم الشفاعة.

٣٣ شبهة راجت على بعض الناس تردها سنة الله متى لوحظت.

٣٧ ما عبده بعض المسلمين من آلهة الجاهلية بحسن نية.

٣٩ مطلوب المشركين من آلهتهم كمطلوب المسلمين من أوليائهم .

٤١ يزيد ما مضى بياناً الآتي متى تصور عن الجاهلية .

٤٣ توضيح ما سبق بما حكى الله عن المكذبين بالبعث مع اعترافهم به اذ كذبهم باتخاذه ولداً .
٤٥ توجيه الخلق للخالق لما له من النعم عليه كما نهاهم أن يجعلوا له أنداداً .
٤٧ من استجاب لله مسرعاً أسرع في إغاثته عند الكرب .
٤٨ كيفية الدعاء المرجو قبوله عند الله مع أدبه .
٤٩ جهل مسلمي اليوم مع زعمهم أنهم على ملة ابراهيم .
٥٢ ما قيل في ابراهيم ومحمد عليهما السلام وما يعد من الفواحش عبادة بحسن نية .
٥٤ ما يقوله بعض العامة كما يدافع عنهم الجهال الرسميون .
٥٦ طاعة الرؤساء في معصية الله تأليه لهم ما لم يكره المطيع اذ هم الطواغيت التي أمر بالكفر بها.
٦٠ تحذير الله اتباع الأولياء علماء وغيرهم لئلا يتخذوا أرباباً من مالم يبرهنا عليه بدليل الواضح .
٦٤ التقليد دين الجهال كما أخبر الله بعاقبته الوخيمة .
٦٧ نبذة في الاجتهاد الاسلامي الفطري كما يجب رفض التعصب المذهبي.
٧١ نهى الله عما يخرج الناس عن دين الاسلام الفطري كدفن الموتى في المساجد .
٧٣ تسمية الولي إلهاً بقرينة وأمارة .
٧٤ جملة من الأحاديث النبوية .

٧٥ النهي عن السفر لبقعة من الأرض طلباً فضل العبادة فيها غير المساجد الثلاثة.
٧٨ اباحة زيارة القبور ما لم تعبد ، مع بيان كيفيتها .
٧٩ مالا يجوز قياس غير النبي على النبي فيه من الأمة .
٨٢ الخوف على العامة من العلماء .
٨٣ كفرة صلحاء من أحد العلماء .
٨٤ حجة من يرى تقبيل اليد .
٨٥ أغرب ما تنكره الفطرة تأليه الناس غير الله معه بعد اقرارهم له بجميع النعم .
٨٧ الاستدلال على الله بآثار صفاته .
٩٠ بيان الاله بأوضح معانيه .
٩٨ أقوى شبهة من يعتذر عن جاهلية المسلمين .
١٠٤ أمنية ردها الدليل .
١٠٥ عذاب الآخرة يخص اختلاف عذاب الدنيا .
١٠٧ أثر الوفاق والاجتماع في المعتقد .
١٠٩ التفرق وعواقبه الوخيمة وأثر التصوف وما جر على الأمة من الفرقة .
١١٧ بيان الربا باختصار .
١١٩ وصية مع الموازنة التي تبين زيف الايمان من صدقه .
١٢٢ طرف مما ذم الله عليه أهل الكتاب كنصيحة المسلمين لئلا يقلدوهم في الشر فيضلوا كما ضلوا .

١٢٩ ما حملت الامة من الأصار بعد وضعها عنها .
١٣١ التحذير من التنافس على الدنيا .
١٣٥ وصية الله بالعدل في الشهادة وللخلق في كل شيء .
١٣٧ الزور والنهي عنه ، وبدعة المولد والعمرة الرجبية .
١٤٣ تسمية من لم ينفذ ما كلفه الله تحريماً وتحليلاً مسلماً زور وتغرير .
١٤٨ بعض مكر الطواغيت بمن يخافون منه .
١٥١ ما على المؤمن لربه في دولة لا تدين بالاسلام أو تدين به لساناً .
١٥٤ ما ينبغي أن يكون عليه الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر .
١٥٩ الفهرس